

صاحب الجلالة.. عباس محمود العقاد..؟!

عندما زار الأستاذ الإمام محمد عبده - عبقرى الإصلاح والتعليم كما وصفه الأستاذ العقاد و أسماه فى كتاب له تناول فيه بالتحليل الدقيق حياته وآثاره مخلدا به ذكره - المدرسة التى كان ينتظم بها الأستاذ العقاد فى المرحلة الابتدائية بأسوان، وقرأ موضوعا إنشائيا له، تهلل وجه الإمام وهو يقول: «ما أجد صاحب هذا، أن يكون كاتباً بعدة!». وتمر سنوات قلائل قصار، وبيبغ ضوء كتابات «العقاد»، وأشعاره كالنار الذى يهدى من يمحرون عباب البحر فى الظلمة الظلماء، وفى الليالى الداكنة السوداء.

ويتقلد سعد زغلول نظارة المعارف العمومية عام ١٩٠٦ ليصلح من شأن التعليم الذى كان الفساد قد اعتوره، واستشرى فيه جراء سياسة «دنلوب» الإنجليزية، بعد إذعان الإنجليز للحركة الوطنية وقبل عزل (كروم) بسنة واحدة.. ويذهب أستاذنا العقاد للقياه، ليجرى معه حديثا وقد أجراه ليكون بهذه المثابة أول صحفى مصرى يدير حوارا مع الوزير الجديد، الخطير، وكان هذا الحديث.. حديث الطبقة المثقفة فى مصر آنذاك، ويدأب هو فى كتاباته الرصينة، وقرض أشعاره الجزلة العميقة، فإرضاه ذاته على الحياة الثقافية والاجتماعية بقراءته الرشيدة، الغزيرة، المتنوعة، وموهبته بل مواهبه العقلية المنفردة، وشخصيته العنيدة المتمردة التى قُدت من صخر أسوان بما يفصح عن مكنون عبقرته، التى انثالت منها تواليفه فى الأدب والشعر والفكر والتاريخ، فهو أديب، وشاعر، ومفكر، ومؤرخ، وقاص، عالم من علماء النهضة المصرية فى القرن العشرين الذى شهد مولد العباقرة وسمى بحق جيل العمالقة هذا الجيل الذى أخرج مصر من دياجير الظلام إلى عالم النور.

وتضع الحرب العالمية الأولى أوزارها، تُجابه مصر بأقوى دول الأرض قاطبة. هكذا كانت بريطانيا وقتها: إمبراطورية لا تغرب عنها الشمس، تقبض على ربع الكرة الأرضية، ذات قوة عسكرية، وذات بأس فى البر والبحر» كما عبر الزميل النايب المستشار طارق البشرى فى كتابه «القيم سعد زغلول مقاوضا».

وتندلع ثورة ١٩١٩ بقيادة زعيمها سعد، وتتأجج نيرانها، ويشتعل أوارها رافضة بقاء المستعمر الدخيل على أرضها. ويصبح هو لسانا من ألسنتها، ثم قلمها «الجبار»

الذى لا يشق له غبار.. وتتوحد أواصر الصداقة ووشائج المحبة بينه وبين قائدها «الفلاح العبقري» كما أطلق عليه الدكتور حسين مؤنس فى كتابه الرائع عن ثورة ١٩١٩ ، وكما وصفه العلامة إميل لودفيج فى سفره الجليل «الذيل». ويدعوه الزعيم إلى (بيت الأمة) ويُجلسه على يمينه.. ثم يتناثر من بعده الكبراء والعظماء، ويحتج الطفل (مصطفى أمين) على (خال والدته) سعد زغلول قائلا: أليس هذا مخالفا (للبروتوكول) أن يجلس عباس (أفندى) العقاد بجوارك قبل وجهاء الأمة وعلية القوم؟. ويجيبه سعد: إنه ليس عباس أفندى.. ولكنه «صاحبة جلالة».

ويمضى العقاد فى كفاحه الأدبى، وتألقه ذهنى وجرأته فى سبيل الحق. ويتكسر على نصال قلمه كل من يحاول أن يفتنت على هذا الحق، حق مصر فى أن تحيا حياة حرة عزيزة.

وعندما قام «إسماعيل صدقى» بتعطيل العمل بالدستور وقف النائب «عباس محمود العقاد» ليقول: - يا حضرات النواب.. إن رأى مجلس النواب لا يمكن أن يكون مجهولا لحظة واحدة بعد البيان الذى أدلى به حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء، لأن الأزمة ليست أزمة وزارة.. فحسب، بل هى أزمة مجلس النواب نفسه.. بل أزمة الدستور المصرى.. ألا فليعلم الجميع أن هذا المجلس مستعد لأن يسحق أكبر رأس فى البلاد فى سبيل صيانة الدستور وحمايته. وعلى العكس من أغلبية أعضاء المجلس الذين استقبلوا العبارة الأخيرة، بالتصفيق الحاد المتواصل، تنبه «ويصا واصف» - رئيس المجلس - إلى خطورتها فصاح معترضا: - ما هذا يا أستاذ «عباس».. أنا لا أسمح بمثل هذا الكلام.. واستمر «العقاد» فى كلمته - بعد أن أمر رئيس المجلس بحذف العبارة من المضبطة - يقول: - ما زلت أكرر أننا جميعا مستعدون للتضحية محافظة على الدستور ومقاومة كل من يعيث به، وأن البلاد جميعها على أتم استعداد للتضحية، لأن الأمة قد جاهدت فى سبيل الحصول على الدستور ستين عاما.

واستل العقاد قلمه وسلط سياط مقالاته يكوى صدقى بها كيا، على حد تعبير الدكتور «شوقى ضيف».

ويتولى محمد محمود (باشا) دفة الحكم ليعلم أنه سوف يحكم مصر «بيد من حديد» ويشرع العقاد قلمه أو سيفه فى وجه الطاغية الجديد هازئا به، فى مقال له: «يد من حديد فى ذراع من جريد»!؟.

ويتهم بالغييب فى الذات الملكية.. ويساق إلى غياهب الجب، ويمكث بين جدرانها تسعة أشهر يؤلف خلالها كتابه القيم «عالم السدود والقيود» الذى هو عبارة عن أنشودة بديعة فى الحرية ويخرج من محبسه وهو ينشد أمام ضريح سعد زغلول وبين رهط من كبار رجالات الدولة يتقدمهم الزعيم مصطفى النحاس، وقد جاءوا برمتهم للترحيب بكاتب الشعب عباس العقاد:

وكنت جنين السجن تسعة أشهر وهأنذا فى ساحة الخلد أولد
عداتي وصحبي لا اختلاف عليهم سيعهدنى كل كما كان يعهد؟!

ويشتجر الخلاف بينه وبين زعيم الأمة مصطفى النحاس لاستنكاره لسياسة الوفد والتي رآها مغايرة لسياسة الوفد إبان رئاسة سعد زغلول له على يد رئيس الوزراء «محمد توفيق نسيم».

ويضرب العقاد عرض الحائط بالصلوات الطيبة التى تربطه بزعيم الأمة «مصطفى النحاس»، وينحى عليه باللائمة فى هجوم قاس شديد، معترضا على هذه السياسة فينبى له النحاس غاضبا: أنا زعيم هذه الأمة.. ويرد العقاد عليه قائلا: وأنا كاتبها بحق الوحي الإلهي، ولن تنتهى برية هذا القلم حتى أكون قد أسقطت وزارتك؟! وتقذف نيران الحرب العالمية بحممها، ويدق (هتلر) وجنوده أبواب مصر. ويطلب البعض من زعماء مصر الأمن والأمان.. ويؤلف هو كتاب (هتلر فى الميزان) يشرح فيها شخصية الزعيم النازي المصاب بجنون العظمة ويتنبأ فيه بالفشل والهزيمة ويتهدده هتلر وجنوده بالويل والثبور وعظائم الأمور، فيشد العقاد رحاله إلى السودان، ينتهى هناك من كتابه «عبقرية عمر».

ثم يكمل سلسلة عبقرياته التى فتح بها بابا جديدا فريدا فى الأدب العربى الحديث (ما أن تذكر حتى تشك). فهى مرتبطة به ارتباطا لا يقبل التجزئة، فهى تؤكد عبقريته فى استكناه أسباب العظمة، وتحليله الدقيق الموغل فى سبر أغوارها، يتقلد إمارة الشعر من عبيد الأدب العربى الدكتور طه حسين الذى ألقى خطابا فى مؤتمر ضم أدباء مصر قال فيه: «إننى أقتل الأستاذ العقاد إمارة الشعر فى مصر، ضعوا أيديكم فى يده وقلده إياها». كان هو وزميله قد فتحوا بابا جديدا للشعر من خلال مدرسة الديوان التى أنشأوها وعابوا على الشعر فيها اهتمامه بالألفاظ دون المعانى، وكان العقاد هو صاحب القدح الملقى،

واليد الطولى فيها.. من هنا جاء شعره فى دواوينه العشرة التى جادت بها قريحته شعرا عميقا يملأ ساعات العمر ويغنم به القارئ أعمارا من المتعة والبهجة والنشوة الرقيقة التى تضاف إلى الأجل المحدود كما عبر الأستاذ الأديب فاروق شوشة فى كتابه (مختارات من شعر العقاد).

ويرتبط اسم العقاد (بأبولون) Apolon رب الضوء والفنون والحضارة وبصفه النقاد والأدباء بعملاق الأدب العربى.

وينال جائزة الدولة التقديرية ويقف أمام الرئيس جمال عبد الناصر - فى عيد العلم - وكان كاتب هذه السطور من بين المكرمين فيه - ليلقى كلمته أمامنا، فماذا قال؟ قال إن جوائز الدولة مرادفة فى معناها لجوائز الأمة.. «وإن تقديره من قبل «أمتة» اشتراك معه فى الفهم والإفهام ومعاونة له على الفيض والإلهام».

ثم يردف قائلا: فى عزة القاضى الجليل، وأنفة المفكر الأديب اللبيب:
«إن جمهورية الفكر خير قرين لجمهورية الحكم، وإن جوائز الدولة مرادفة فى معناها لجوائز الأمة».

وهكذا كان العقاد يرتفع دائما بقيمته الفكرية.. وقيمة أى مفكر فى كل مكان وزمان من خلال اهتمامه بكرامة المفكر، ومبدأ (الحرية) التى آمن بها العقاد إيمانا راسخا، حتى إن البعض اعتبره ممثلا لهذه الحرية بأجلى معانيها وعلى سبيل المثال لا الحصر وصفه كاتب مصر العالمى نجيب محفوظ بأنه (الحرية بكل ما تعنى من أبعاد).

(فهو) الحرية إذا التمسنا لشخصيته فكرة يرمز بها إليه.. فالحرية هى الجمال فى فلسفته وهى الديمقراطية فى سياسته، وهى الفردية فى رأيه الاجتماعى، وهذه هى القيم التى دافع عنها وسجن فى سبيلها واضطهد كثيرا من أجلها. ومنها استلهم أدبه على تعدد جوانبه فكان رائدا كبيرا من رواد الشعر الرومانتيكى الثائر، وكان ناقدا فذا يدعو إلى تحرير العقل والشعور من سلطان السلف والتقاليد وكان كاتب سيرة يؤمن بالعبقريه باعتبارها القوة الخالقة وسط الأحداث والمجتمعات.. وكان قصاصا تحليليا سيكولوجيا من طراز عال فى قصته «سارة».. (راجع سامح كريم العقاد فى معاركة السياسية). فلا غرو - إذن - أن نجدته يعتز بكرامته أشد الاعتزاز أليس هو القائل. أعترف أنى أحب الشهرة والخلود، ولكننى أعترف كذلك أنني لا أطلبها لقاء ثمن يهيض من كرامتى. وإننى إذا أحسست أن

إنسانا يعتز بشهادة يبذلها، أو شهادة يمنعها، فلا نصيب له عندى غير التحدى، الذى يذهب به إلى الحائط، ولتذهب الشهرة، وليذهب الخلود معها إلى الشيطان. كان رحمة الله عليه يردد مقولة له، ويكررها بالإنجليزية Dignity is the best policy، أى أن الكرامة هى السياسة المثلى وعن هذا يعبر: الكرامة هى التى تسعدنا حين نحسن ونظفر، لأننا نفقد ما نفقد، ونفضل آخر ما حفظناه، وهو أعز علينا مما ضيعناه.

قمين بنا - نحن المصريين - جميعا أن نتوجه بالتحية والتقدير، لعملاق الفكر المصرى والعربى التقدير.. فى يوم مولده.



صدق يا أستاذ عباس.. فموعدنا الآن ..

مع الوسواس الخناس!

صدق الكاتب الصحفي الأستاذ «عباس الطرابيلى» فى مقاله المتميز الذى دبهجته براعته منذ أسابيع قلائل والذى دعا فيه الشعب المصرى بطوائفه المتباينة إلى التكتاف من أجل الصلاح والإصلاح.

يحدثنا تاريخ الأدب أن «امرؤ القيس» عندما علم بمقتل والده وكان ساعتها يعاقر بنت الحان(الخمى) شد رحاله إلى مضارب أخواله فى جوف الصحراء وقال قولته التى ذهبت مثلا : «اليوم خمر وغدا أمر».

والغد يحمل فى ثناياه - بمشيئة الله - الخير كل الخير والفلاح لشعب مصر بعد أن تخلص من الوجوه القباح، الذين باءوا بالذلة وبالإفتراس. فى كل غدوة لهم ورواح. إن الجبهة الداخلية التى أراد الجاهلون أن يحولوها إلى قطعة من الجبن أو الزبد بإمكان أى فرد أن يمزقها إربا إربا.. هذه الجبهة هى قوام مصر يجب أن تكون متماسكة وأن تعود إلى وحدتها وصلابتها لتؤكد هيبة الدولة وتماسكها وليس انفراط عقدها مما يدفع الجاهل أو الحاقد إلى أن يعيث فى أرضها فسادا وإفسادا فالاستبداد؛ فى الرأى يؤدى إلى الفساد.. والفساد يجر جرا إلى الإفساد.

وها هو ذا المستشار الجليل عادل عبد الحميد - وزير العدل - يصرح فى التلفاز المصرى أن ثمة فئة ضالة كانت وراء إحراق صرح مصر «المجمع العلمى المصرى» وقد اعترف البعض منهم بتقاضى أموالا زهيدة ووجبات غذاء مقابل تدمير هذا المتحف العلمى الشامخ الذى أسسه نابليون بونابرت فى ٢٠ أغسطس ١٧٩٨.

هناك أنظمة تخشى تكرار ثورة مصر فى بلدانها.. وهناك دولا محيطة بنا أغدقت أموالا تفوق التصور لجمعيات ومؤسسات مصرية لكى يعمل من خلالها المتآمرون على تخريب مصر ودق إسفين فى ثورتها الخالدة. إذن فلا جرم أن نفتح عيوننا ونرهب أسمعنا حتى نتبين الغث من الثمين. والناطق من الصالح. فالثورات الكبرى مثل الثورة الفرنسية وكذلك الأمريكية ناهيك عن ثورة الصين والثورة البلشفية وغيرها من الثورات لم تنجح فى مسعاها

مع سقوط الآلاف من ضحاياها إلا بالعض - كلِّ العض - على نواجذ جبهتها الداخلية،
ومن ثم فقد أثمرت وأينعت وحققت مراميها في التقدم والازدهار.
الأعداء يتربصون بمصر من الداخل ومن الخارج، والحفنة المتآمرة الكامنة في «السراديب»
قد عرَّاهم الله، فإنهم يتربصون بمصر الدوائر من أجل وأد ثورة مصر السلمية الأبية الفقتية
التي غدت نبراسا للثورات، وقد شهد لها الداني والقاصي بأنها قد أصبحت ثورة ليس
مثلها ثورة من قبل ومن بعد، وقد كشف الله الستر عن خافي مساعي هؤلاء المتآمرين الذين
يبتغون لمصر أن تصيح خرابا يبابا بعد نغت سمومهم في عقول السوقة والدهماء الذين
تحولوا إلى حية رقطاع، تود أن تلتف رويدا رويدا حول جسد الأمة.. وإذا أردت أن تعرفهم
فإنهم يظهرون لك مرة كالغريبان، وأخرى كالعقبان، وثالثة كالأفاعوان، يريدون أن تكبل
مصر بالأرسان حتى تقع في بئر الهوان، وتعود القهقري إلى عصر الطغيان.. ولكن يقف
لهم الديان.
إنهم يمكرون. ويمكر الله.. والله خير الماكرين..



ضربة منشة .. سبب احتلال الجزائر !!

من أعجب ما قرأت فيما دونه التاريخ في سجلاته قصة الاستعمار الفرنسي للجزائر الشقيقة التي ترجع علاقتها بفرنسا إلى القرن السادس عشر الميلادى حينما عقد حلف بين البلدين لجأ بمقتضاه الملك «فرنسوا الأول» ملك فرنسا إلى خير الدين بربرون طالبا معونته تارة ضد جيوش جنوه عام ١٥٣٥م.. وتارة أخرى ضد جيوش «شارلكان» امبراطور أسبانيا عام ١٥٣٦. فقد تم تبادل السفراء بين فرنسا والجزائر عام ١٥٦١م.. وفى عام ١٥٩٥ استنجد الملك «هنرى الرابع» بالجزائر فى تخليص مرسيليا من الجيوش المغيرة عليها من أعدائها.. وفى عام ١٧٩٣م عاودت فرنسا طلب المعونة من الجزائر وامدادها - أى فرنسا - بالجلود والخيول والقمح.

وفى عام ١٧٩٤ منحت الجزائر الحكومة الفرنسية التسهيلات الخاصة التي كان من شأنها أن حصل الفرنسيون على كل ما يلزمهم من القمح الجزائرى.. كما أقرض «الداى حسين» حاكم الجزائر حينذاك حكومة فرنسا عام ١٧٩٦م مليوناً من الفرنكات بدون فوائد لكى يسهل على الفرنسيين شراء المزيد من قمح البلاد.. واشترى الفرنسيون القمح.. وحصلوا منه على كميات زاد ثمنها على المليون فرنك بكثير.. فاعتبرت الجزائر هذا ديناً على فرنسا.. ومرت الأعوام ولم تسدد فرنسا دين الجزائر حتى عيل صبر الداى واستدعى قنصل فرنسا فى الجزائر.. وكان ذلك فى يوم ٢٩ إبريل عام ١٨٢٧ وسأل الداى القنصل متى ستحصل الجزائر على حقها من فرنسا.. ولماذا تمتنع فرنسا من الرد عليه فيما يطالب به من مبالغ مستحقة لبلادها على فرنسا، ولم يكن من القنصل إلا أن تلتم وأجاب الداى بأن حكومته لن تكتب إليه.. أى إلى الداى.. ولا فائدة من ذلك.. فثار الداى لذلك الجواب وهب واقفا طالبا من القنصل أن يخرج من مجلسه فلما لم يستثل القنصل لأمره «هوى عليه الداى بمنشته.. وقذفه بها فى وجهه فكانت تلك الحادثة سببا فى هياج فرنسا وفى إرسالها قواتها المندججة بالسلاح لاحتلال الجزائر ردا على فعلة «الداى» وصونا لكرامة فرنسا كما زعم بذلك ملك فرنسا «شارل العاشر»؟!.

وقد تم ذلك فعلا فى يوم ٥ يوليو عام ١٨٣٠ بعد استسلام «الداى» فى اليوم السابق لذلك.. ومنذ ذلك الحين وفرنسا تحتل الجزائر، وتزعم أنها - أى الجزائر - قطعة..

أو جزء من أرضها حتى قيد الله لها الشهداء الأبرار الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل
حريتها واستقلالها ومن ثم أطلق على الجزائر بلد المليون شهيد!!
هذه وبإيجاز هي قصة احتلال الجزائر واستعمارها.. قصة أغرب من الخيال إن دلت
على شيء فإنما تدل على مكر الاستعماريين ودهائهم وتفننهم في اختراع الأسباب لاحتلال
الشعوب واستعمارها فهذه هي فرنسا - كما رأينا - تقدم على احتلال الجزائر واستعمارها..
وتحتلها فعلا وتستعمرها بسبب ضربة منشة!!



ضريبة الذهب الأسود فى عهد المصريين القدماء ..

البتروىل .. كلمة تتكون لفظين من أصل يونانى هما: «بترو.. ليوم». الأولى بترو بمعنى «حجر».. والثانية ليوم بمعنى «زيت».. فىكون المعنى الاجمالى لكلمة بتروىل هو.. «زيت الصخر».. وترجع معرفة الإنسان بالبتروىل واستعماله إلى أجيال طويلة قبل ميلاد المسيح عليه السلام.. وقد كشفت الأبحاث أن «البنزين».. وهو أحد مستخرجات البتروىل - كان يستخدم فى بناء المنازل بمدينة «أورو».. وغيرها من المدن التى يرجع تاريخها إلى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد..

ويقول سفر التكوين فى التوراة إن سفينة نوح كانت مطلاة بالغاز من الداخل والخارج.. ثم السلة التى وضع بها موسى عليه السلام عندما ألقى فى اليم طليت بالغاز من الداخل والخارج أيضا .. والغاز أحد منتجات البتروىل..

وتروى النقوش الأثرية المصرية أن «تحتمس الثالث» فى سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد رسم على سكان بعض المدن المصرية فريضة من البنزين الذى كان يستخدم فى تحنيط الموتى.. وظهرت صناعة البتروىل عندما تمكن الكولونيل «وريك» الذى كان يبحث جاهدا عنه من حفر البئر الأولى عام ١٨٥٩.. وقد وجد البتروىل على بعد ٢١ مترا من سطح الأرض.. وفى خلال التسعين سنة التالية بعد هذا الكشف حفرت آلاف الآبار.. وتوغل الباحثون فى باطن الأرض حتى تم استخراج البتروىل من آبار وصل عمقها إلى مسافة ٤ كيلو مترات ونصف تحت سطح الأرض..

ولقد نشأت صناعة البتروىل فى العصر الحديث فى بداية القرن التاسع عشر خلال عمليات الحفر التى كانت تجرى بحثا عن الملح.. إذ صادف الباحثون آثارا من الزيت الخام فى عددا كبيرا من مناجم الملح فى فرجينيا الغربية.. وكان الزيت الخام يعتبر مادة عديمة القيمة.. ولكن لم ينقض وقت طويل حتى كشف أن لهذا السائل بعض المزايا والفوائد.. فبدأ استخدامه فى إضاءة الشوارع فى عام ١٨٢٨.. وفى عام ١٨٤٥ استعمل البتروىل الخام لأول مرة مخلوطا بزيت الحوت فى تزييت آلات مصانع حلج القطن فى الولايات المتحدة الأمريكية.. ومنذ ذلك الوقت أخذ الطلب على البتروىل يتزايد..

وما أن جاء عام ١٨٨٩ حتى توالى عمليات الحفر والتنقيب . فلم ينقض عام ١٨٦٠ حتى بلغ عدد الآبار التى حفرت فى أمريكا أربعاً وثمانين بئراً أنتجت ما يقرب من ٧٥ طناً من البترول.

وظل البترول طوال الأربعين عاماً التى تلت ذلك يستعمل بصفة رئيسية فى الإنارة . والتزييت وغيرهما حتى ظهر محرك الاحتراق الداخلى فبدأ استعمال البترول كوقود لمرجل السفن.

ومنذ ذلك بدأ إنتاج البترول يرتفع بسرعة عظيمة مع تطور الصناعة وارتقائها . فتضاعف من ٥٥ مليوناً عام ١٩١٣ .. إلى ١٠٩ ملايين (طن) .. فى عام ١٩٢١ .. إلى ٢١٨ مليون طن عام ١٩٣٥ .. إلى ٤٣٣ مليون طن عام ١٩٤٧ ..! هذه هى قصة نشأة البترول فى العالم.

أما عن قصة نشأة البترول فى مصر فذلك يرجع إلى عام ١٨٨٤ حينما استقدم «نوبار باشا» بلجيكيًا يدعى «دى باى» وعهد إليه مهمة البحث عن البترول .. فى مصر .. فى منطقة «جمسة» غير أن «دى باى» فشل فى مهمته التى استطاع اتحاد البترول المصرى أن ينجح فيها عام ١٩٠٨ حينما وفق فى العثور على البترول فى المنطقة السابقة التى بلغ إنتاجها من البترول ١٩٣ ألف طن .. ثم توالى الكشف عن البترول فى مصر بعد ذلك فأكتشف حقل الغردقة عام ١٩١٤ .. ثم حقل أبو دربة عام ١٩٢١ .. ثم رأس غارب عام ١٩٣٨ .. ثم حقل بترول سدر عام ١٩٤٦ ثم حقل مطارمه .. وعسل .. وبلاعيم وغيره وغيره من حقول البترول.

وذلك هو الذهب الأسود الذى قالوا عنه «.. من ملك البترول .. ملك زمام العالم .. وأصبح السيد الحقيقى له! ..».

هذا هو البترول الذى لعب دوراً هاماً فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ .. وجعل الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا عن بكرة أبيها تصطلى وتكتوى بالزمهرير من شدة البرد جراء محاصرة البلاد العربية المنتجة للبترول بامتناعها عن ضخ البترول إلى بلادهم لقاء تكاتفهم مع إسرائيل . تضامناً منها مع شقيقتها مصر التى خاضت حرباً ضروساً من أجل تحرير أرضها من ربة المحتل الإسرائيلى الذى أحتلها فى غلس الليل وما كان له أن يرفع يده الملوثة بدماء الشهداء المصريين إلا بهذه الحرب المجيدة التى أصبحت تدرس فى أكاديميات العالم العسكرية المختلفة التى شهدت لصر بعقيريتها الحربية بعد أن أذاقت المحتل الإسرائيلى الويل والهوان.

عقوبة الإعدام.. بين القانون المصرى وقناة دريم؟!..

دعتنى قناة «دريم» فى غضون عام ٢٠٠١ لحضور ندوة عن الحكم الذى صدر بإعدام المرضة «عايدة» ثم بعد ذلك أعادت محكمة النقض محاكمتها أمام دائرة جنايات أخرى، غير الدائرة التى حكمت عليها بعقوبة الإعدام.

أدارت الأستاذة «منى الشاذلى» الحوار فى هذه الندوة كمعادتها باقتدار وكان الحضور فيها الأستاذ الصحفى «محمد فودة» رئيس التحرير، والأستاذ «آمر أبو هيف» المحامى بالإسكندرية. والدكتور عميد كلية طب التمريض بالإسكندرية، وإحدى أساتذة كلية التمريض بها، وكاتب هذه السطور.

كانت الندوة مذاعة على الهواء وأدلى الحضور برأيهم فى هذا الموضوع:

قال الأستاذ فودة: إنه لولا الصحافة وتركيزها على هذه القضية لنفذت عقوبة الإعدام فى المتهم، وأن الصحافة كان لها القدح المعلى فى عرض هذه القضية على محكمة النقض التى حكمت بنقض الحكم المحكوم به على المتهم بعد أن عرضت الصحافة قضيتها على (الرأى العام) الذى لعب دورا مؤثرا فى تخفيف الحكم عليها.

أما أساتذة الطب الذين أدلوا بدلوه فى موضوع الندوة فقد داروا حول ما إذا كانت المتهمة قد أخطأت فى علاج المريضة التى تسببت برعونتها فى إزهاق روحها البريئة.

أما الأستاذ «آمر أبو هيف» محامى المتهم فقد سلط الضوء على نفسه إذ إنه وهو وكيل المتهم قد طعن بالحكم الصادر من محكمة جنايات الإسكندرية بإحالة أوراق القضية إلى فضيلة المفتى.

وكانت المتهمة قد ناولت المجنى عليها حقنة بداخلها مادة قاتلة، وهى تعودها بالمستشفى التى ترقد فيها بمدينة الإسكندرية.

أما كاتب هذه السطور فوجه حديثه لكل من الأستاذ الصحفى والأستاذ المحامى فقال لأول: ليس هناك قضية توصف بقضية رأى عام من عدمه فالقضايا جميعها أمام القضاء مهما صغرت أو كبرت ينظرها القاضى بعد بحث وفحص و تمحيص و تنفيذ للأدلة الظاهرة أمامه، دون أن يولى اهتماما لرأى عام من عدمه فالرأى العام. كما قال أحد الفلاسفة «ما هو

إلا حصان جامح ليس له من ضابط إلا من يستطيع أن يكبح جماحه». ثم يممت وجهي متجهاً بحديثي إلى الأستاذ المحامي ذاكراً له: إنه ليس أنت ولا غيرك هو الذي خفف الحكم عن المتهمه عايده فاستبدلت العقوبة عليها من عقوبة الإعدام إلى السجن لمدة عشر سنوات، ولكنه القانون.. والقانون وحده. متمثلاً في المادة ٤٦ من القانون رقم ٥٧ لسنة ١٩٥٩ الذي أوجب على النيابة العامة عرض أية قضية يحكم فيها بالإعدام على محكمة النقض لتقول كلمتها فيها.

ولقد قالت محكمة النقض كلمتها في قضية عايده دون مؤثر عليها فيها سوى القانون.

وعندما أبدت الأستاذة «منى الشاذلي» دهشتها قائلة: كيف يكون هذا؟ من حكم بالإعدام يزهق روح المتهمه إلى حكم بسجنها عشرة سنوات؟.

فأجبتها: لا تعرضي نفسك للمثول أمام القضاء فالقضاء ليس محل سخرية فنفت بأدب جم ذلك وأبدت تقديرها واحترامها الكاملين للقضاء.

فأردفت قائلاً لها: إن القاضي لا يحكم إلا من خلال الأوراق والمستندات الماثلة أمامه وقد تظهر أدلة جديدة من استقرائه لهاتيك الأوراق تجعله إما يغلظ بالعقوبة أو يخففها حسبما يقر في ضميره، ويستقر في وجدانه، وكمن من القضاة حكموا في قضايا جد خطيرة بالبراءة لعدم وجود أدلة، أو عدم كفاية الأدلة. وكمن من القضاة حكموا بتخفيف الأحكام على المتهمين بثبوت الأدلة عليهم تقديراً لظروفهم إعمالاً لنص المادتين ٥٥، ٥٦ من قانون العقوبات، وكمن من القضاة أخطأوا في أحكامهم بالعمو عن المتهمين تأيلاً بأنفسهم عن الخطأ.. والقاعدة الذهبية أمام عيونهم شاخصة لأبصارهم جلية لبصائرهم: الخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة.

وإذ انتهت الندوة - التي استمرت على مدى ساعتين - سألتني المذيعة القديرة: من يرحم عايده؟.

فأجبتها: يرحمها الله سبحانه وتعالى الذي كتب على نفسه الرحمة.. ويرحمها السيد المسيح. عيسى ابن مريم الذي قال لمن أرادوا أن يحصبوا «المرأة الخاطئة» بالحصي والحجارة في محاولة منهم لقتلها فنهاهم نبي الله عن ذلك قائلاً: من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر؟!.

ويرحمها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذى قال : «ارحموا من فى الأرض
يرحمكم من فى السماء».

فالرحمة شيمة الرحماء.. والرحمة شيمة الأقوياء الكرماء.

والرحمة صفة من صفات الرحمن الرحيم.



فرية صُبت في الآذان.. ومَجَّتْها الأذهان؟! ..

وهذه الفرية تَجَمَّل في أن الزعيم الخالد الذكر سعد زغلول قد ارتكب خطأ فادحا في موضوع مد امتياز شركة قناة السويس إبان عرضه على الجمعية التشريعية في مطلع القرن المنصرم عام ١٩١٠، إذ دافع سعد بحماس شديد عن المشروع ولكن «فوجئ بهزيمة ساحقة فقد وقفت الجمعية ضد المشروع ماعدا عضوا وحدا، والوزراء.. وكانت تلك هي أخطر هزيمة لزغلول».

هذا ما خطه الدكتور رفعت السعيد في كتابه «الليبرالية المصرية قائلًا»: إن أحد الباحثين قد ذكر ذلك وبالرجوع إلى مراجعه» اتضح أن هذا الباحث الذي رجع إليه هو ALEXANDER, The Truth about Egypt. وهذا الباحث ليس بباحث ولو كان كذلك لتحرى الدقة التي تملئها عليه الأمانة العلمية. ثم عاد الدكتور مرة أخرى وقرر بمثل ذلك في كتابه عن ثورة ١٩١٩، ولو كلف الدكتور السعيد نفسه ببحث هذا الأمر في المراجع الدقيقة لما وقع في هذا الخطأ التاريخي، فما دونه يدحضه التاريخ.. فهذه الفرية بعيدة بعد السماء عن الأرض عن الحقيقة الثابتة التي لا يأتيتها الباطل من بين يديها أو خلفها.

ففي كتاب «مذكرات سعد زغلول» للباحث المدقق الأستاذ مصطفى النحاس جبر جاء في الصفحتي (٢٢٩ - ٢٣٠): «.. بات مشروع مد امتياز شركة قناة السويس يترنح أمام عوامل ثلاثة أساسية أولها المعارضة الوطنية الشديدة وثانيها المعارضة داخل الحكومة ورجلها (سعد زغلول) وكانت الحركة الجماهيرية أحد الأسباب القوية في مساندة موقف (سعد المعارض وشدته)».

ولقد سبق لأحد كبار كتاب مصر أن تردى في هذا الخطأ الذي وقع فيه «الدكتور السعيد»؛ ففي مجلة كان يترأس تحريرها في النصف الثاني من القرن الماضي سود الكاتب إحدى صحائفه بعنوان مثير: (تاريخنا مع القناة يتحرك) وقال عن سعد بمثل ما قيل فيه. فما كان منا، ومن آخرين، إلا أن استفسروا - كتابة - من الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد عن صحة هذا الأمر فكتب الأستاذ العقاد في يومياته بجريدة الأخبار بتاريخ ١٧/٩/١٩٥٦ تحت عنوان «سعد زغلول وقناة السويس» فقال:

عدت من الإسكندرية فوجدت في بريدي رسائل كثيرة يسألني أصحابها عن موقف سعد زغلول في مسألة قناة السويس عن اقتراح الشركة مد أجل الامتياز بعد إنتهائه ، وبعض أصحاب هذه الرسائل يسألونني عن هذا الموقف لعلمهم أنني قد ألقت كتابا ضخما في الترجمة لسعد ، وأنتى قد حضرت هذه المسألة يوم عرضها وكنت ممن رفضوا ذلك الاقتراح .

ولا أحب أن أطيل الشرح والتفصيل ، ولكنى أقول موجزا : إن سعدا لو ذهبت جميع أعماله وبقي منها عمله في هذه المسألة لكان وحده كفيلا له بالمجد الذى تعون له الرؤوس .

لقد عرضت الشركة اقتراحها بموافقة المعتمد البريطانى والمستشار المالى الإنجليزى فقبله أكثر الوزراء وعارضه سعد ورشدى ومحمد سعيد ، وعلم سعد أن المسألة ستنتهى بالموافقة على اقتراح الشركة إذا فصل فيها مجلس الوزراء ، فاتفق مع أصدقائه من أعضاء الجمعية العمومية على المطالبة بعرض المشروع عليها واعتبار رأيها فيه قاطعا لأول مرة فى أمثال هذا المشروع الذى لا يخلوها القانون النظامى رأيا قاطعا فيه .

ولما صرح سعد بهذا رأى فى مجلس الوزراء اشتراط رئيسه بطرس غالى أن يتولى سعد عرضه على الجمعية ليشرح وجهة النظر فيه ، وكان يظن أن سعدا يرفض هذا الشرط محافظة على سمعته فلم يبال سعد بالسمعة فى سبيل المصلحة القومية وقبل ما اشتراطه رئيس الوزراء .

إن هذه المعلومات مما يعرفه أنصار سعد وخصومه ، ولهذا لا نكتفى فيها بما نعرفه ونحيل القراء من بين الأسانيد الكثيرة إلى شرح المسألة كلها فى مذكرات أحمد شفيق باشا الذى طالما غمز سعدا وصرح بلومه فى المذكرات والحوليات .

جاء فى الصفحة الـ ١٨٦ من المجلد الثالث من المذكرات .. «وكان المستشار المالى يميل إلى الأخذ بهذه الفكرة وكذلك السير جورست وبترس باشا إلا أن رأى العام كان ضدها وكذلك بعض النظار كسعد باشا ورشدى باشا ومحمد سعيد باشا» .

ثم قال شفيق باشا : «وردت لنا بريقيات من محمود سليمان باشا وعلى شعراوى باشا وأحمد يحيى باشا يطلبون فيها طرح المشروع على الجمعية العمومية» .

ولا يخفى على أحد أن هؤلاء الأعيان هم حزب سعد فى الجمعية العمومية أو الجمعية التشريعية أو الوفد المصرى عند تأليفه عقب الحرب العالمية الأولى .

ثم عاد شفيق باشا فى الصفحة الـ (٢٠٤) فقال: «وتقرر عرضها على الجمعية العمومية لأخذ الرأى فيها على شرط أن يتولى سعد زغلول باشا الدفاع عن وجهة نظر الحكومة...». ولا يخفى أيضا معنى هذا الشرط. فمعناه الواضح أن سعدا هو الذى يريد عرض المشروع على الجمعية وأنهم يشترطون عليه الشروط لقبول اقتراحه، ولو كان موافقا للمشروع لما كان ثمة معنى للاشتراط عليه. إن أناسا كثيرون لا يبالون بالمصلحة فى سبيل السمعة. أما أن يتعالى الرجل عن السمعة نفسها غيرة على مصلحة قومه فتلك منزلة من الرفعة لا يسمو إليها إلا من هو أهلها، وأهلها فى هذه الدنيا قليلون، بل جد قليلين. هذا هو خلق سعد الذى ميزه الله به على أقرانه من القادة.. وتلك هى خلة سعد فى الشجاعة والوفاء، والتى يميز بها الزعماء المخلصين الخلاء فى الماضى، أو فى الحاضر.. أو المستقبل على السواء.



فن البناء..!

حبذا إشاعة الفن الجميل والذوق السليم فى الجماهير. فإن إذاعتها كفيلة بأن تربي الشعب وتعلّى قدرنا فى نظر زائرنا من الشرق والغرب على السواء.

إن الفن التشكيلي من الفنون الراضة عندنا وقد خلف فنانونا القدماء أثارا خالدة تنطق ببراعتنا الفائقة، وإذا كانت بلادنا قد عرفت هذا الفن قديما وقدرته حديثا ممثلا فى المستشار الفنان محمود سعيد الذى منحه الرئيس جمال عبد الناصر جائزة الدولة التقديرية، فإننا لم نستطع إلى الآن أن تستفيد مهمة من هذا الفن على النحو الذى دعت إليه هيئة اليونسكو فى مؤتمر للفنون والآداب عقدته منذ سنوات وأوصت فيه بوجود تقرير الدول جميعا لنسبة مئوية من البناء، سواء كان ذلك فى المنشآت الخاصة أو العامة، تنقشها وزخرفتها تعميما للفائدة التى تعود على الشعوب من بعث روح الفن فى كيانها وحب الجمال فى وجدانها وتربية النفوس وتهذيبها.

وأخذت بعض الدول بهذا كإيطاليا وبولندا فتحولت مبانيها الباهتة إلى لوحات فنية رائعة زادت من بهائها صبغة الفن التشكيلي الباقية على الأيام.

وحبذا لو عمل المسئولون عندنا على العناية بذلك فى منشآتنا المعمارية تلك التى قال عنها يوما أحد علماء الفن: إنها تفتقر إلى النظام وإلى وحدة الشكل وإلى روح الفن التشكيلي.. وبذلك نبرز مواهبنا الفنية ونربي فى الشعب حاسة الذوق والجمال.



فنادق لإنعاش الريف

سئل المؤرخ الإنجليزي «أرنولد توينبي» عندما زار بلادنا أى مكان يحب أن يقضى فيه وقته فأجاب بأنه يفضل دائما الريف حيث الهدوء والجمال وأنه لذلك يكره العواصم الكبيرة.

والذى لا ريب فيه أن ريفنا المصرى من أجمل الأرياف وإبداعها. بقية غذاء للروح. ومتعة للقلب وما من إنسان زار بلادنا إلا وأسره ريفنا بفتنته الكامنة فيه. ونعمته المنثالة منه. وهاهو ذا ابن سعيد الأندلسى الذى زار بلدنا فى القرن الثالث عشر يتعنى بجمال الريف المصرى فما راعه شىء بعد جمال الأندلس مقدار ماراعه منظر القرى المصرية ذات البساط الأخضر الذى يغذى العين بنضرتة.

ماذا إذن لو بحث المسئولون فكرة إنشاء فنادق صغيرة فى الريف يدعى السياح للنزول فيها مع تنظيم رحلات دورية ثقافية لطلبة المدارس والجامعات لزيارة الريف والتعرف على قطعة عزيزة من قلب الوطن، وحسبنا ما فى ذلك من كسب أى كسب لإنعاش ريفنا، وبعث الحركة والحياة فى أوصال جسمه الساكن؟! .



فى ذكرى ميلاد.. أعظم المفكرين العرب.. فى القرن العشرين ..

من المسلمات.. وأيضاً من البديهيات - التى يلحظها البصر ولا تخطنها البصيرة أن السماء تبدو على البحر أعظم مما هى. كما لو كنت تنظر إليها من سماء.. لا من أرض. ومن عجب أن السماء ذاتها. كما عبر أديب مصر مصطفى صادق الرافعى. وهى فوقنا - فى كل مكان - يرتحل الناس إليها فى الأماكن الخالية - لكى يروها - مع أشياء أخرى - فى هاتيك الأماكن فهى تبدو - للرائى حينئذ، أكثر صفاء، وأشد نقاء، وأبهى ضياء. وقد يكون مرد ذلك - فيما نرى - أن من يرى عن قرب لا يرى بوضوح - فالإنسان بحاجة لكى يمعن نظره، وينعم فكره فى قيمة - أى شىء - أن يبتعد عنه قليلاً - حتى يتسنى له أن يراه من بعد على حقيقته بفحواه ومغزاه.

وقد باعد الزمن بيننا وبين عبقرى الفكر المصرى والعربى الأستاذ عباس محمود العقاد والذى جاء مولده فى مثل هذا اليوم عام ١٩٨٩ (فملاً الدنيا وشغل الناس) كما عبر عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين فى رثائه بجريدة الجمهورية - آنذاك - إثر وفاته فى الثانى عشر من مارس عام ١٩٦٤. كان الأستاذ العقاد ولا يزال. بل وسيظل ملء الأرجاء والأجواء.. بيد أنه أضحى اليوم، بعد أن بُعد عنا - كالسماء البادية على صفحة مياه البحر المترامى الأطراف تتسع رقعتها ويشف منظرها للرائى من بعيد فهذا هو ذا العقاد العظيم يصبح كالمعين الصافى يفيض ولا يغيض - تتسابق الزمرة من البلغاء والمفكرين والأدباء.. ناهيك عن العلماء، فى الكتابة عن مواهبه المتعددة وأثاره المتوهجة تُدبج عنه الكتب، بل والرسائل العلمية الجامعية التى تترى يوماً بعد يوم عن فكره. وأدبه، وعن شعره ونثره فى شتى مناحيه، وفى مختلف فلسفته ومراميه.

وإذا كان (شيللى) قد اعتنق القول القائل (وطنى هو العالم). فقد آمن العقاد بأن: (وطنه هو الكتاب).

ألم يعلمنا الأستاذ أنه لا غنى للأديب أو العالم عن الألام بغير ثقافته الخاصة ليصح الحكم على حقيقة من حقائق المعرفة العامة.

ومن هنا دبج قلعه كتابه الجميل الجليل (فى بيتى) وجعل له مقدمة يقول فيها: «وبيت الكاتب، هو العالم بما رُحِب».

ألم يقرأ، ويقرأ حتى فى الكتب العلمية المتخصصة.. حتى بز أقرانه وفاق أترابه وجعل الزعيم سعد زغلول يصفه بأنه «جبار القلم».

وانظروا إليه وزعيم الأمة سعد يعتب عليه والعقاد ينعى عليه نسيانه لمسألة خاصة بالسودان الشقيق: «لو عاتبنى كل فرد فى الأمة عتابك، لما نجوت من العقاب». ويرد العقاد العظيم: «ولكن ليس كل فرد فى الأمة يا باشا، هو عباس العقاد».

والأستاذ الكبير العقاد ينطق عليه ما أرتأه المبرد فى البحثرى عندما قال: «أبى الله إلا أن يكون عظيما فى جميع جوانبه».. فهو سيظل بين الناس دائما: «أبا العبقريات وعملاق الفكر العربى وشاعره المجيد الخالد وناقده الجبار والمثل غير المسبوق».

انظر إليه بعد خروجه من غياهب السجن فى ٨ يوليه سنة ١٩٣١ وهو يتوجه إلى ضريح الزعيم الراحل سعد زغلول وهو ينشد على قبره:

لبثت جنين السجن تسعة أشهر	وهأنذا فى ساحة الخلد أولد
ففى كل يوم يولد المرء ذو الحجى	وفى كل يوم ذو الجهالة يلحد
وما أقعدت لى ظلمة السجن عزيمة	فما كل ليل حين يغشاك مرقد
عداتى وصحى لا اختلاف عليهما	سيعهدنى فى كل كما كان يعهد

وصفه الزعيم سعد زغلول بأنه:

«أديب فحل له قلم جبار، ورجولة كاملة، ووطنية صادقة، واطلاع واسع، ما قرأت له بحثا أو رسالة فى جريدة أو مجلة ألا أعجبت به غاية الإعجاب، وهو لا يعالج موضوعا إلا أحاط به جملة وتفصيلا، إحاطة ليس بعدها زيادة لمستزيد: «وله أسلوب أدبى فريد...».

ومن أوجز وأشمل ما يمكن أن يوصف به العقاد أنه (أديب فى ثوب عالم.. وعالم فى ثوب أديب).. فهو على ما كتب وعلى وفرة إنتاجه الأدبى والشعرى فإن الكثيرين يجهلون أن العقاد كان ذا ثقافة علمية خاصة عالية.. وأنه أول صاحب (منهج علمى) فى الأدب العربى الحديث.

يقول العقاد: الثقافة اليوم تنقسم إلى علمية وأدبية، بين (عالم) لا يعرف شيئا عن (هوميروس) و (فرجيل)، وأديب لا يعرف شيئا عن المادة ونظام الأفلاك.

«وكلاهما نصف إنسان».. أما الإنسان الصحيح فهو الذى يعرف العلم . ولا يجهل الأدب ، أو يعرف الأدب . ولا يجهل العلم .. وإن لم يبلغ منهما معا مبلغ التخصص والامتياز.. ثم يردف قائلا: لقد قيل إن المتخصص نصف إنسان فقل ولا حرج: كلا.. ولا هو نصف إنسان ، وإنما هو كما قال «نيتشه»: «أذن كبيرة أو لسان طويل ، تمشى به قدما؟!».

ومن هنا - جاءت عبقرية العقاد العلمية - التى فاق بها المتخصصين وبرز بها المتعمقين فى مجال العلم نفسه.

فكان هو أول من صحح مقالة (داروين) التى شاعت وذاعت على السنة الخاصة قبل العامة والتى نسبت إليه خطأ: (البقاء للأصلح).. ليعلنها أن داروين لم يقل بهذا وإنما قال «البقاء للأنسب» وليس (للأصلح).. فإن الإنسان يموت وهو الأصلح ويحيا الميكروب وهو الأنسب..؟. وعندما يعترض العقاد على تهليل بعض العلماء الأمريكيين على اكتشافهم لنبت أخضر على سطح المريخ يثبت وجود حياة على أرض هذا الكوكب الأحمر، فينبى له أستاذ علم الفلك فى جامعة القاهرة - يريد أن «يُدْهشه» أو «يُعلمه» أن هناك عالين أحدهما يدعى (برسيغال) والثانى يسمى (لويل) قد قالا بهذا.. فيرد العقاد على أستاذ الفلك: أن هناك عالما واحدا فقط وليس عالين، يدعى (برسيغال لويل)..؟ ثم يزيد أن ما أكده دكتور الفلك قد نفاه الثقات من الفلكيين.. وآخرهم أكبر عالم فى علم الفلك ويدعى (شباريلى) فى كتاب بلغ من ذبوعه وانتشاره أنه كان مثار التقريظات الصحيفة والإذاعية فى أوروبا وفى أمريكا؟! . والعقاد أول من كتب عن (البحث العلمى) فى (تاريخ الأدب) وسلط (قراءته العلمية) على كشف أسباب وفاة امرئ القيس وابن الرومى من الأقدمين ، وجمال الدين الأفغانى وعبد الرحمن الكواكبي من المحدثين فحلل أسباب وفاتهم باستخدام علم الطب.. وشخص بدقة متناهية أسباب وفاتهم.. وعلى غير ما دون عنهم - بشأن هذا - فى كتب السيرة وفى كتب التاريخ. وهو نفسه العقاد الذى ألم به المرض.. فرفض أن يعالج خارج الديار ، (لأنه لا علاج له) مشخصا حالته المرضية بدقة بالغة حتى أن عالما طبيا هو المرحوم الدكتور أنور المفتى قال للكاتب الكبير أنيس منصور الذى كان أول وآخر من عاده فى مرضه الأخير: إن تشخيص العقاد لمرضه لا يعرفه إلا واحد فى المائة من الأطباء المتخصصين؟! .

وعندما مات العقاد - كتب الأستاذ أنيس منصور:
«لقد قضى العقاد الطيب، على العقاد الأديب».. أعظم المفكرين العرب في القرن
العشرين.

وفى ذكرى يوم ميلاد العقاد العظيم، كاتب الوفد الأول، والأديب اللوزعى، والحبر
العلامة، نقول له: سوف يظل يوم ميلادك يوماً خالداً فى قلوب عارفى فضلك ومقدّرى
علمك ومحبيك.. عبر تجدد الأجيال.. فى الحال وفى المآل.



من خواطر الشباب «حياة كالموت» «يحيهاها اللاجئون الفلسطينيون»

فى القرن الميلاى الثانى.. وفى عام ١٢٤ على وجه التحديد اجتاحت الجيوش الرومانية بيت المقدس وحولته إلى مستعمرة أطلق عليها الرومان اسم «إيليا كابيتولينا».. وأطلقوا على البلاد التى كانت تتاخمه حينذاك.. أى تتاخم بيت المقدس.. اسم «فلسطين».. وانمحت بذلك مملكة يهوذا اليهودية من خريطة الوجود..

وانبسط النفوذ الرومانى على تلك البقاع العربية التى كان يستوطنها بعض العرب المسيحيين ردحا من الزمن.. لاقى فيه اليهود الذين كانوا يجاورون العرب فى السكنى فى بعض جهات منها الذل والطغيان من الرومانيين الغزاة.. حتى أن الكثيرين منهم لم يجدوا بدا من الهجرة إلى مصر والعراق وبعض الأقطار الأوروبية فرارا وهربا، من جبروت الرومانيين وقسوتهم..

ولم يبق فى فلسطين وبيت المقدس إلا أقلية من اليهود تحملوا ما تحملوا من الرومان.. الذين صادروا ممتلكاتهم، وخرّبوا ديارهم، وأجبروهم على اعتناق المسيحية.. وحينما ارتفعت راية الإسلام.. دخلت الجيوش الإسلامية بقيادة عمرو بن العاص فلسطين وبيت المقدس وطردت الرومان من تلك البلاد، التى أصبحت من ممتلكات الإمبراطورية الإسلامية..

ثم غزا الأتراك السلجوقيين أرض فلسطين واستولوا عليها.. ثم جاء الصليبيون فى أعقابهم.

وجاء صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٧ وطردهم من فلسطين، وخلصها من عبوديتهم. وكان عهد صلاح الدين العهد الذهبى لليهود.. إذ سمح لهم بالهجرة إلى فلسطين فتدفق سبيل المهاجرين إليها من بلدان غرب أوروبا..

ثم بسط الأتراك نفوذهم على فلسطين مرة أخرى عام ١٥١٧ إلى أن طردهم منها محمد على عام ١٨٣٢.. ثم تدخلت الدول الأوروبية فى أخريات القرن التاسع عشر.. وأعادت فلسطين إلى الحكم التركى العثمانى.

واندلعت نيران الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ فانضمت تركيا إلى الألمان ضد الإنجليز وحلفائهم، فحارب الإنجليز الأتراك، وانتزعوا فلسطين من أيديهم على يد اللورد «النبى».. الذى دخلها غازيا فى ٨ ديسمبر ١٩١٧.

وكان دخول اللبى فلسطين بداية لمؤامرة عالمية دبرها الاستعمار الإنجليزى ضد الشرق العربى لإنشاء وطن قومى لليهود المشتتين فى الآفاق، فى أرض فلسطين العربية!! لتحطيم شوكة العرب، وتمزيق وحدة بلادهم. وأصابتهم بالسرطان اليهودى فى موضع الإحساس المرهف من جسم أمتهم، ألا وهو فلسطين، وذلك لأن الاستعمار رأى فى العرب قوة جديدة تهدده.. وتتهدد وجوده وكيانه.

ثم كان الدافع الأكبر على ذلك أيضا، وهو التعصب الغربى المسيحى ضد المسلمين والمسيحيين الشرقيين على السواء، فعندما دخل اللورد اللبى فلسطين فى اليوم الذى ذكرناه آنفا ٨ ديسمبر ١٩١٧ رشق بسهمه قبر صلاح الدين الأيوبى، قائلا: «اليوم قد انتهت الحروب الصليبية يا صلاح الدين!!!».

وهى عبارة تكشف عن الحقد المضطرم فى قلب القائد الإنجليزى الصليبي ضد العرب والمسلمين «فلم ير اللبى يومئذ فى فتح فلسطين انتصارا على الألمان، ولا على العثمانيين أعداء بلاده، ولكنه رآه انتصارا على العرب والمسلمين الذين غلبت آباؤهم أجداده فى حرب باغية دارت رحاها باسم الصليب فى تلك الأرض المقدسة منذ قرون!».

وهذا القائد الإنجليزى يمثل عقلية الغرب المستعمر من إنجلترا وفرنسا وأمريكا الذين يفهمون من كلمة الصليب البطش بالعرب مسلمين ومسيحيين لتكون الغلبة لهم دائما على أهل الشرق جميعه!.

لذلك فعندما بدأت الاضطهادات تأخذ شكلها الجدى ضد اليهود فى روسيا ورومانيا والنمسا وألمانيا، وتكونت على إثر ذلك جميعات «عشاق صهيون» التى قادها ونشر رسالتها «هرتزل» الصهيونى والتى كانت تهدف إلى زرع وطن قومى لليهود فى فلسطين أو أرض الميعاد كما كان يطلق عليها غلاة اليهود رأى الاستعمار الفرصة سانحة لكى يضرب ضربته ضد العرب، فكان وعد بلفور عام ١٩١٧، «الذى كان بداية المؤامرة».

ثم كان يوم تقرير المصير، ٢٦ نوفمبر عام ١٩٤٧، وكانت الجمعية العامة للأمم المتحدة تبحث مشروع تقسيم فلسطين بين أصحابها وبين اليهود الذين نقلتهم الحركة الاستعمارية اليهودية إليها.

ووقف رئيس وفد الفلبين «الجنرال كارولوى رومولو» فى الجمعية العامة للأمم المتحدة بجأراً قائلاً: «إن حق كل شعب فى أن يقرر مستقبله السياسى بنفسه، وفى أن يحتفظ بوحدة أراضى وطنه حق أساسى لا شك فيه، ولا يقبل النقص، لذلك فإننا لا نستطيع أن نصدق أن الأمم المتحدة يمكن أن توافق على حل لمشكلة فلسطين يخالف هذا المبدأ. أو أنها يمكن أن تقودنا إلى طريق المبادئ الخطرة القائمة على التمييز العنصرى، أو نظام الحكومات الدينية المنقرضة».

هذا ما قالته الفلبين على لسان رئيس وفدنا، ولكن الفلبين التى عارضت التقسيم بكل هذه القوة والحرارة، عادت وأعطت صوتها لمشروع التقسيم بعد ذلك: بيومين اثنين فقط!! . ولم تكن الفلبين هى الدولة الوحيدة التى هاجمت مشروع التقسيم، ثم عادت فوافقت عليه، فقد عارضت هايتى وسيبيريا وليبيريا ودول أخرى عديدة مشروع التقسيم، وهاجمته وفودها بشدة كاشفة الظلم الفادح، والأخطار الجسيمة التى تهدد الإنسانية بتنفيذ هذا المشروع، أو الموافقة عليه..

وفى جلسة الاقتراع حدثت الفضيحة! تراجعت هذه الدول جميعاً وغيرها عن موقفها السابق والذى لم يتراجع منها امتنع عن التصويت، وكانت أعظم فضيحة شهدتها المجتمع الدولى فى التاريخ الحديث!! ..

وكان السر وراء تراجع هايتيك الدول عن موقفها السابق إزاء مشروع التقسيم الولايات المتحدة الأمريكية.. زعيمة العالم الحر! فقد استخدمت نفوذها الضخم فى الضغط على هذه الدول لتغير موقفها لأنها هى وحليفتيها بريطانيا وفرنسا كانوا مصممين على إنشاء وطن قومى لليهود، ولو على أشلاء أصحابها الأصليين، ولو على أنقاض ميثاق الإنسان وسائر القوانين والمواثيق الدولية، ولو على حساب شرف بعض الدول وكرامتها!! .

وكان نهاية المؤامرة، وأصدرت الأمم المتحدة قرارها المشؤم الذى كان سبباً فى تاريخ الإنسانية! القرار الذى حكم على فلسطين العربية بالموت والعناء والعذاب والتشريد.

القرار الذى عاد بالإنسانية إلى عصور الهمجية، ولعب فيه الغش والخديعة والطمع والخيانة دوراً كبيراً، وصدر فى ساعة طيش ونزق من أناس لا يمتنون إلى الإنسانية بصلة ولا ضمائر لهم، ولا هم لهم إلا التمتع على حساب الغير! .

القرار إلى فرح له الظلم وجذل.. وبكى عليه الحق وحرزن..!

القرار الذى حكم على مليون لاجئ عربى بالتمزق والتشتت من أجل حفنة من اليهود كانت مشردة فى الآفاق، واليوم يعيش فى الصحراء فى العراء! فوق الأرض، وتحت الثرى! مليون لاجئ فلسطينى هم ضحايا الإنسانية! وقربان من قرايين الحرية!.. يعيشون بدون مأوى.

فقد كان لهم وطن، فأصبحوا بلا وطن، ويعيشون فى حرية ففقدوا حريتهم!. كانت لهم كرامة، فديست كرامتهم!.

كانت لهم منازل وبيوت، فأصبحوا يبيتون فى العراء الأرض فراشهم.. والسماء غطائهم!..!

كانت السعادة ترفرف عليهم بجناحيها ناشرة المحبة والسلام والطمأنينة بين قلوبهم، فأمسى البؤس والشقاء يخيم عليهم بعد ما طردوا من ديارهم وشردوا فى الآفاق.

وهناك حيث لا تسمع إلا عواء الذئاب، وفحيح الأفاعى!. وحيث لا ترى إلا صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ضرع!، ولا حياة فيها ولا نماء!.. حيث الصمت المطبق، والسكون العميق الذى لا يقطعه إلا صرخات طفل جائع، أو زفرات أم تكلى، أو أنات شيخ فان.. هناك وعلى مدى البصر يمكنك أن ترى اللاجئين آلافًا من الأكوام البشرية مكدسة بعضها فوق بعض!..!

طفولة بريئة حلوة تفتح عيونها أو ما تفتح على الهم والحزن، وتتحمل أجسامهم وأجسامهم الغضة الهون والعذاب!.

أمومة معذبة تتحمل ما تتحمل فى سبيل تربية زهور يانعة، ومحاولة إثمارها فى أرض جديدة!.

أبوة تعسة شقية وهى ترى فلذات أكبادها تنصهر فى بوتقة مؤلمة من الجحيم ولا تستطيع لها ضرا ولا نفعا!..!

شباب مكدود ليس له إلا الحزن والتحسر، الحزن على غده الضائع، والتحسر على مستقبله المفقود!.

شبية فانية كانت تنتظر الراحة والأمان، فلم تجد إلا التشريد بلا كساء أو غذاء أو دواء!.

أكواخ ومنازل من بقايا صوف أو قماش تقع تحت رحمة الطبيعة القاسية، والريح الصرصر العاتية، وهى هنا «كالريشة التى حيثما تسيرها الريح تسير!».

وقصص مؤلمة مثيرة عن حياة اللاجئين!.

فهذه أم وطفلها.. فى ليلة من ليالى الشتاء القارس البارد هما فيها المطر بشدة حتى غطى الأرض ببحر من المياه عباب.. فخافت الأم على وليدها الصغير الذى بدأ الكرى يتسلل إلى عينيه، وبدأت تبحث عن مكان تضجعه فيه، ولكن أنى لها؟، فقد غمرت المياه كل ركن من أركان الأرض؟، واهتدت الأم إلى وسيلة ظنت المسكينة أنها بها ستدفع الأذى عن ابنها. نامت هى على الأرض بظهرها فوق المياه.. وحملت طفلها على بطنها.. لتمنع عنه شر المياه الباردة القاتلة التى ينوء بها جسمه الصغير.

وطلع الصباح، وكان الاثنان الأم، والطفل جنتين هامدتين، قتلهما البرد والصقيع!.
هذا مثل بسيط من حياة اللاجئين!، حيث الفقر والجوع، والعذاب والحرمان، وحيث المفازة المهلكة التى يحيا فيها اللاجئين.

حيث الطبيعة القاسية التى قهرتهم.. وعبست فى وجوههم..
حيث الحرارة اللافتحة المحرقة فى الصيف، وزمهرير المطر، وومض البرق، وزئير الرعد فى الشتاء!.

حيث لا يجد اللاجئين السدف التى يسترون بها أجسامهم!.

حيث لا يجد اللاجئين غير الماء القراح حساء لهم!.

حيث تتساقط الأرواح كما تتساقط أوراق الشجر فى الخريف!..

حيث يحفر كل لاجئ لنفسه قبراً يثويه بجانب القبر الذى يعيش فيه!..!

حيث يردد اللاجئين كل يوم قول «داود النبى»:

«إلى متى يارب تنسانى كل النسيان..

إلى متى تحجب وجهك عنى..

إلى متى اجعل هموما فى نفسى وحزنا فى قلبى كل يوم.

إلى متى يرتفع عدوى على.

إلى متى يارب!..!..».

أنين مفجع حزين، وأمل ورجاء، من خلال هذه الحياة المؤلمة التى يحياها اللاجئين.

الحياة الشبيهة بالموت.. والحياة التى تشنأها النفوس وتأبأها..

من خلال ذلك الجرح الدامى الذى لن يندمل فى قلوب جميعا إلا بعودة اللاجئيين إلى
إلى أرضهم ووطنهم.
ولنتذكر جميعا قول «اللورد بيرون» اليهودى الذى كان يتغنى به :
«إن للحمامة البيضاء عشا صغيرا، وللثعلب وكرا، ولكل إنسان وطنه، إلا اليهود..
فلهم القبور!».»



من خواطر الشباب .. من وحى القرية

إنها صورة أحببتها .. وكلفت بها ..!
إنها صورة همت بها .. وددت من كل قلبي وجوارحي لو أنها معى دائما وأتأملها ،
وأرشف منها قطرات الأمل والسعادة .. السعادة التى لطائنا وهبتها لى تلك الصورة الحبيبة
الجميلة .. !

وأتمتع بما كنت دائما ومازلت أجده فيها من حب وطمأنينة .. وهدوء وسكينة ..!
بعيدا عن هذا العالم الصاخب .
بعيدا عن هذا العالم المضطرب .
بعيدا عن هذا العالم المجنون .
بعيدا عن هذا العالم الحزين .
بعيدا عن هذا العالم الكئيب .
بعيدا عن هذا العالم الذى داس على مقدسات الحياة فامتحن الكرامة .. وباع الشرف ..
وعزب الحرية .. وشوه الجمال .. وعبث بالحب .. وعصف بالسلام ! ..
وفى هذا العالم رأيتها ثانية ! .. رأيت الصورة الحبيبة ! .. بعد فراق دام خمس
سنوات ! .

أى والله - يا أخى - خمس سنوات .. كانت عندى وكأنها خمسة قرون ! .. نعم خمسة
قرون ! .. فلم اعتد أبدا أن أغيب عنها أو تغيب هى عنى مثل هذه الغيبة الطويلة ..
مامن فرصة سنحت لى إلا وهرعت إليها .. أبث لها غرامى ، وتبث لى هى الأخرى
غرامها ! .. كانت دائما حلوة ساحرة .. كانت دائما مبتسمة ضاحكة رائعة مثيرة .. مثيرة
بفتنتها .. وطبيعتها الخلابة .. وأرضها الفيحاء الواسعة .. وهدوئها المستقر ، وسكونها
العميق .

مثيرة بشمسها الساطعة .. وأضوائها المشرقة الضاحكة .
مثيرة بمياهها .. بأشجارها .. برياضها وطيورها .. قضيت فيها أيام الطفولة الحلوة حيث
المرح البرى ، وحيث التمتع بالحياة الرخية الهادئة ، وحيث الابتسامات والضحكات
العالية التى كانت تخرج من القلوب معبرة عن ابتهاجنا وفرحتنا وصبورنا ..

كنا نقطن آنذاك فى الإسكندرية.. وكانت أسرتى كلها تبقى فيها إلا أنا فكانت أظير إليها أفضى فيها ردا من الزمن وبعضا من الوقت.. كان هو أحلى أيام حياتى.. وغبت عنها طويلا.. ثم رأيتها هذا العام.. رأيت «قريتنا» الحبيبة.. وكان ذلك فى شهر سبتمبر.

وشهر سبتمبر من أجمل شهور السنة عندى، وهو كذلك من أجمل شهور السنة فى الريف المصرى عامة.. فففيه تتفتح عيدان القطن الأخضر عن الذهب الأبيض.. وفيه تتوهج الحقول.. وتتوهج معها الآمال. وفيه يصحو الريف من ركود الصيف الطويل.. وأيامه الثقيلة المملة.. وفيه يبدأ الحصاد.. ويبدأ معه المال يتدفق فى جيوب الفلاحين بعد مجهود جهيد.. وكفاح وكدح دام طويلا.

وفيه السهر والسمر، والنكات التى يتندر بها الفلاحون بين الآونة والأخرى. وتأملت القرية التى غبت عنها طويلا.. وتأملت الريف الذى حرمت منه زمنا كان كثيرا.. تأملت القرية.. وتأملت الريف والسعادة ترقص فى قلبى، والدموع تترقق فى عينى. هذه هى قريتنا الجميلة التى قضيت فيها أياما حلوة هنيئة.. هذا هو ريفنا الذى تمتعت به وبمناظره وسحره ودلاله!.. هذه هى الحقول التى كنت أمرح بين ربوعها.. مع لداتى وقرنائى..

من هذا الحقل كنا «نأخذ» الخيار ونأكله!.. ومن هذا الحقل كنا نقتلع أعواد القصب!.. وهذا الحقل، هو حقل الخوخ الذى طالما ملأنا جيوبنا منه مع استنكار عم إبراهيم وصيحاته، ومطاردته لنا!.. فالأرض أرضنا ولكنه لا يعلم. وهذا الجامع.. جامع «سيدي المرشدى».. الجامع الأشهر فنشعر فيه بذاتنا وبأننا قد كبرنا وصرنا رجالا، ووجب علينا أن نؤدى فرائض الصلاة كما يؤديها الكبار!.. وهذه التربة، هى نفسها التربة التى طالما «قهرتها»!، بذراعى الصغيرين سابحا، مع تحذير والدى لى بعدم النزول فيه حتى لا أصاب بالأمراض..

وهذا هو السوق.. سوق القرية الصغير الذى كنا نلعب فيه دائما لعبة «استغماية» فرحيق مبتهجين.. «الدوار» العتيق بيت الباشا.. الذى طالما «والسرب الضيق» الذى مازال ضيقا، صحنى والدى إليه وعرفنى بكبار الشخصيات.

وشجرة الجميز.. ها هي.. يا لله!.. لقد كبرت ونمت نموا كبيرا.. وأصبحت دوحة ضخمة فارعة.. لقد خطت اسمي عليها منذ سنوات.. أتراه كما هو؟.. أترى الأيام لم تمحه؟.. لا إنه قد زال ولم يبق له أثر..!

وذاك هو قصر «بهي الدين باشا».. القصر العتيق الذي بناه الباشا ولم يستكمله.. إنه كما هو، ولكنه حزين لقد فقد السعادة التي كنا نعيشها بين حجراته ورداته بمرحنا ولهونا والبشر الذي كان يعلو وجوهنا!!..

هنا كنا نجرى ونضحك بأصوات عالية كانت تتردد بين جنبات القصر فتعيد إلينا الصدى قويا.. الصدى الذي كثيرا ما خفنا منه، وظنناه صوت طاغوت أو شيطان!!..
والمقهى الذي كنت أسهر فيه مع صحبتي المختارة أستمع إلى «الشيخ محمد الحرصاني» وهو يضرب لنا على الربابة، ويقص علينا قصته المشوقة.. قصة «أبو زيد الهلالي»!!..
«والمنشور» الواسع الذي لعبنا فيه الكرة كثيرا لقد امتلأ بالأكواخ، والساكن.. إنها زحمة الحياة، وهذا جمع من الفلاحين ذاهب إلى حقله.. وجمع آخر قادم من أرضه بعد سهر مضمّن طويل..

وذلك جمع آخر من الصبية والفتيات يجمعون القطن في حيوية ونشاط يتغنون بأغانهم وأهازيجهم المحببة التي تبعث فيهم العزم، وتنسيهم تعب اليوم ومشقته.
وذلك آخر يعمل على رى الأرز وتحويل الماء إليه من الجدول..
وتغرب الشمس.. ويشرق القمر وكأنه سر وسحر يتسلل بين الأوراق والأغصان ويرسم على الأرض الندية ظلالة من النور والخير والجمال..

وهؤلاء هم العائدون من الرجال والنساء والصبية والبنات من كدح النهار، حيث أتموا عملهم وأنجزوا مشاغلهم. ولكن أنظر!.. انظر إلى وجوههم لا يبدو عليها التعب، بل إشراق وآمال، وأمان وأحلام البسمة الحلوة، في وجوههم، والأغنية الرقيقة على أفواههم إنهم يرضون بالقليل.. ويحمدون ربهم أن منحهم هذا الخير العميم الوفير.. الحمد لله.. الحمد لله إنهم يقبلون أيديهم شكرا لله وحمدا له، ولا يطلبون منه سوى الستر وأن يديم عليهم نعمته، ويسبغ عليهم رحمته..

ويؤيئون إلى بيوتهم يقصد كل منهم على الآخر ما حدث له في يومه، أو ما جد على القرية من جديد، أو ينبشون في خبر قديم يثيرونه ويتلهون به..!

شمل مكتمل.. وقلب ممتلئ.. وسعادة تطفو على الوجود..
وأخذت الأيام تجرى.. أيام سبتمبر الجميلة الرائعة.. حتى اقترب على الرحيل ..
ومضى سبتمبر.. مضى كأجمل ما يكون - بين طبيعة ساحرة وأخوة أحياء وأصدقاء
خلصاء، وأناس ينشرون الأمن والحب والسعادة بينهم.. وذكريات فيها الأمل والحياة.
مضى سبتمبر الشهر الساحر الجميل..
مضى سبتمبر الشهر الفاتق الحبيب..
مضى سبتمبر بسره وسمره ولياليه..
مضى سبتمبر جامع الشمل، ومفرقه!..
بالقسوة الأيام!.. إنها لا تعطيك كل ما تطلب أو تتمنى..
يا لقسوة الزمن هو الآخر!.. إنه لا يتركنا نعيش فى سلام، لا يتركنا فنعم بأيامنا
التي لها عقبها وأريجها.. ونستعيد ذكرياتنا الأثيرة لدينا، لا بد وأن يفرق بيننا كما فرق
بالأمس.. يا إلهي!.. عما قريب سأترك الطبيعة الساحرة.. سأترك الأرض الطيبة..
سأترك جنة الله فى أرضه!.. وإلى أين.. إلى المدينة بريائها ونفاقها.. إلى المدينة بمظاهرها
الخداعة.. إلى المدينة حيث التشاحن والتباغض وكره الإنسان لأخيه الإنسان..
وكلما شعرت بذلك أزداد ألمي.. وأزددت تعلقا بالريف وتشبثا به..
ولكن أصبح الأمر واقعا، وجاء وقت الرحيل!.. وانتزعت قدمي من هذا الثرى العزيز
وكأنى أنتزع نفسى وسارت بنا السيارة مسرعة تنهب الأرض نهبا، وكأنها تزيد أن تبعدنى
عن هذه الصورة.. صورة قريتنا.. بدون أن يودع كل منا الآخر!..
ومرت أمامى مشارف القرية بأشجارها الضخمة الطويلة التي ضربت أعمارها فى الزمن
البعيد، وكأنها حراس الله فى أرض وقفت لتحرس القرية من كيد الكائدين.
رويدا وريدا أخذت الصورة تختفى مسرعة من أمام ناظرى، وكأنها كانت سرابا لا تمت
إلى الحقيقة بصلة.. وبعدت مرة أخرى عنها.. عن القرية الوادعة.. ذات الحقول اللبانة،
والقلوب القانعة.. والنفوس الوادعة، والضماير الحية النقية..
وتركت القرية وكأنى قد تركت قطعة من ذوب الفؤاد!.. والآن لقد تفرق الشمل..
وأصبحت فى المدينة الكبيرة.. فى القاهرة بضواحيها المتباينة، وسكانها وسياراتها
وضوضائها والسابلة التي يزرعون طرقها آناء الليل وأطراف النهار..

وأحسست بالدموع تنهمر من مقلتي! .. إنها دموع الفراق.. دموع الوفاء..
دموع الوداع! ..

ولكن! .. لماذا لا أحب القاهرة كما أحب الريف؟ .. لماذا لا تستهويني صورة القاهرة كما
تستهويني صورة قريتنا؟ ..

إن القاهرة هي عروس مصر! .. جميلة واسعة بها اللذات التي يتمناها الإنسان
ولا يتمناها! ..

بها اللذات المحرمة والمحللة! ..

بها الملاهي ودور السينما.. بها المسارح والأندية بها العجائب والمعجبات! ..

بها ما يعزى المرء ويغويه! .. بها كل ما يتمناه الشباب! ..

ولكن لا! .. إن الحياة ليست فى الجمال فقط..

وليست فى المتع! .. وليست فى اللذات! ..

ولكنها فى نقاء السريرة.. فى حب الناس بعضهم لبعض.. فى الإخلاص.. فى الوفاء..

فى القناعة.. فى الرضى بما قسمه الله.. فى الصبر.. فى الهدوء.. فى السكينة والسلام..

وكل هذه أشياء موجودة فى الريف.. موجودة فى قريتنا بل هى قطعة منها.. ولكنها

غائبة فى القاهرة، أو هكذا يبدو لى! ..

ففى القاهرة لا تجد غير الرياء.. غير النفاق، غير كره الإنسان لأخيه الإنسان..

غير الحقد.. غير الضوضاء المزعجة حيث الحياة الصاخبة! .. حيث التحضر والمدنية

الزائفة التى عصفت بالناس، وأعمت قلوبهم وضلت بهم عن طريق الهداية! ..

لذا فأنا أحب الريف.. أحب قريتى الصغيرة.. حيث السكينة والهدوء..

حيث الطبيعة بنقائها ورونتها الإخاء..

حيث الإنسان النقى التقى الذى لم يدنس بعد..

حيث الحب.. الحب الذى ذهب اليوم من الوجود.. أو كاد..

حيث الإخلاص فى أجل الصورة.. والوفاء فى أجمل مظاهره..

حيث السلام هادئ آمن مستقر.. لا يخاف! ..

لماذا لا تكون القاهرة كقريتنا؟! ..

بل لماذا لا يكون العالم كله كقريتنا؟! ..

لماذا لا يكون مسالما يرفرف فيه الحب.. ويتغنى فيه السلام؟! ..
لماذا لا يكون وديعا مستقرا هادئا ينعم بالراحة والهدوء؟! ..
لماذا لا يكون تجار الحروب كفلاحى قريننا قلوبهم زكية وضمائرهم نقية؟! ..
لماذا لا يكون فيه اخلاص وحب ووفاء.. بدلا من الكراهية والحقد والشر والدهاء؟! ..
لماذا لا يكون ميتسما سعيدا هنيئا؟! ..
بدلا من هذه القلاقل والاضطرابات..
بدلا من هذه المآسى والدموع والآهات..
بدلا من ذاك الحزن.. وذلك الألم؟؟؟ ..
كلما تذكرت صورة قريننا، كلما لاح فى خواطرى كل هذه الاستفسارات.. بل
الأمنيات..

وكلما تذكرت الحقول الخضراء الممتدة على مرمى البصر تشهد على قوة الخالق وعظمته..
وتشير إلى دلائل حكمته.
وكلما تذكرت أشجار التوت والجميز، وتلك الحمائل الخضراء التى تتشابك فروعها فى
أشكال لولبية، وكأنها تتهامس وتتصافح.
وكلما تذكرت صورة الفلاحين والرضى على وجوههم.. والأمل فى عيونهم.. والسعادة
تترقق فى قلوبهم، وهم يعملون ويكدون ويكدحون.
كلما تذكرت تلك الحياة الهادئة.. والجو الصافى الذى لا يعكره ولا يقطع سكونه غير
صوت المؤذن يصيح كلما آن وقت الصلاة.. الله أكبر.. الله أكبر.. يُذكر من يخشى، ويُشجع
العامل، ويُنبه الغافل، ويُعظ الظالم، ويُنصف المظلوم..
كلما تذكرت الطبيعة الضاحكة المبتسمة، التى يشبع فيها المرح والسرور.. ويشرق منها
الأمل الباسم والوضاء..
كلما تذكرت كل ذلك.. أيقنت أنه لن يكون هناك إلا سلام.. سلام دائم.. يزيدنى أملا
فى المستقبل وحباً فى الحياة! ..

لن تكون هناك حرب.. لن تراق بعد ذلك دماء.. لن تزهق أرواح أبرياء.. لن تتكرر
هيروشيما ونجازاكي ثانية، لن يصطفى العالم بعد ذلك بحرب فانية! ..
إن تلك الملايين من الجنيهات التى تصرف كل يوم على أدوات الحرب، ومعداته
نستطيع أن تفعل المعجزات.. نستطيع أن تحول الصحراء إلى جنة فيحاء..

تستطيع أن تقضى على الأمراض الفتاكة التى تهدد الإنسان بالفناء.

نستطيع أن نحول الأكوخ إلى قصور..

تستطيع أن تبني وأن تشيده وأن تجعل الإنسان يعيش مرفها يرفل فى حلل السعادة والحبور.. وسيجئ اليوم الذى يحدث فيه هذا، إنه قريب وليس بعيد.. سيجئ اليوم الذى أرى فيه العالم صورة جميلة رائعة كما أرى صورة قريتي!..

سيجئ اليوم الذى يهدأ فيه الأمن.. ويستقر السلام.. السلام الذى سيذهب عن البشرية القلق الذى تحيا فيه.. ويقضى لهم على شبح الحرب المخيف..

السلام الذى سيجعل من تجارة الحرب تجارة كاسدة وسيحطم أسلحة الموت والدمار. التى أعرف أن النبوءة أكبر منى، ولازلت أذكر قصة «اللورد بيفربروك» التى ترجمها كاتب أديب.. لقد تنبأ مثلى فى عام ١٩٣٩ بأن الحرب لن تقوم ونشر فى جريدته الدبلى اكسبريس مانشت ضخم يقول: «لن تقوم الحرب».

وبعد بضعة أشهر من تلك النبوءة قامت الحرب.. ومع أنه قد مضى على هذا المانشيت ثمانية عشر عاما فلا يزال الشعب الإنجليزي يذكره ويعير به صاحبه.. «يفربروك» فى كل مناسبة حتى أنه أخرجت رواية إنجليزية أخيرا عن الحرب.. حرص المخرج الإنجليزي فيها بعد أن عرض على الشاشة منظر قتل الملايين وتدمير المدن ونسف بواخر الركاب.. حرص على أن يصور بين مناظر الغرقى جريدة الدبلى إكسبريس وهى تطفو على سطح البحر وكتب عليها المانشيت الذى يقول.. لن تقوم الحرب!..

ولكننى يا أخى مع ذلك أو من وأبشرك بأن الحرب لن تقوم..

إننى لست وحدى الذى أو من أو أتنبأ بذلك.. هناك غيرى كثيرون اهتموا وآمنوا بذلك.. ومن هؤلاء كاتب أمريكى يدعى «الدوق هوج».. آمن بأن الحرب لن تقوم.. وأن السلام هو الذى سيكون على الأرض فكتب مقالا من نسج خياله، ومن بنات أفكاره أسماء «التمرد العلمى الكبير».. وجعل حوادثه تجرى بعد ١٠ سنوات.. قال فيه: «نحن الآن فى عام ١٩٦٧، والدول التى تملك سر صنع القنبلة الهيدروجينية أصبح عددها سبعا وهى: اليابان وألمانيا الغربية والسويد. والصين الشعبية بالإضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وروسيا.. وقد نجح الروس والأمريكان فى إقامة محطات الفضاء، وأصبح فى إمكان كل منها بمجرد الضغط على زر أو أزرار.. أن تطلق فى الفضاء قذائف هيدروجينية

من محطاتها المقامة في الفضاء تدمر غريمتها على وجه الأرض تدميرا تاما.. أى أن الغناء الشامل أصبح فى مقدور كل منها.. وهو فناء تام لا توجد ضده أية وسيلة من وسائل الدفاع.

واستطرد الكاتب الأمريكى يقول: ولهذا السبب وبمناسبة الذكرى العاشرة لانعقاد مؤتمر بوجواش (يوليه ١٩٦٧) قرر علماء العالم أن يعقدوا مؤتمرا دوليا يعمل على وجوب «إنقاذ البشر.. ونسل آدم وحواء»، وعقد المؤتمر فعلا.. ولقد وافق المؤتمر بالإجماع على أن ولاءهم يجب أن يكون الآن للبشرية لا لأية حكومة أو لأية دولة.. ومضى الأمريكى قائلا:

وهكذا انطلقت الشرارة الأولى فى «التمرد العلمى الكبير» الذى وقع ١٩٦٧.. وعبر المحيطات والقارات.. وفى كافة الدول.. أضرب العلماء والمهندسون عن صنع الأسلحة الذرية من أى نوع كانت ثم راحوا يدمرون ويغرقون المخزون منها فى أعماق اليم، والذى مازال فى مراحل الإعداد.

وأصبح العالم ذات يوم، وقد خلا من كافة أنواع الأسلحة.. اللهم إلا من البنادق العتيقة والمتاجر.. (ونجا العالم والبشرية من الفناء.. واستقر السلام على وجه هذه الأرض). هذا ما كتبه الكاتب الأمريكى.. فى مقاله، قد تسخر منه، وقد تسخر منى أيضا، ولكنها الحقيقة يا أخى! فلن تكون هناك حرب.. وسيستتب السلام على وجه الأرض مهما كره الكارهون.

فاعمل يا أخى.. بجد وإخلاص ولا تخف.. أبدا من الغد فإنه بالرغم من السحب الداكنة السوداء التى تتجمع فى الجو.. فهو غد مشرق وضاء..

ثق فى نفسك.. واعمل اليوم لتجنى غدا.. اعمل لبناء مستقبلك.. فقد سألوا مرة العالم الإنجليزى «شالز كاترنج».. فقالوا له: لماذا تتحدث كثيرا عن المستقبل. فرد عليهم قائلا: «لأننى سأقضى بقية حياتى فيه»؟..

شكرا لك أيتها الصورة الجميلة..

شكرا لك يا قريتنا الوديدة الحبيبة.

فمنك استمددت الأمل.. فأنرت به الطريق لنفسى.. ولعلنى أنرت به الطريق لغيرى!..



منية المرشد.. القرية.. التي لها تاريخ؟!..

ولدت بقرية منية المرشد مركز مطوبس «فوه سابقاً» وترعرعت بين جنباتها وكنت أجوس وأنا مازلت غرض الإهاب بين أروقتها أتشم فيها الهواء العليل والنسيم البليل جذلاً فرحاً مسروراً، أترك مدينة الإسكندرية حيث كان والدي يعمل قاضياً، نازحاً منها إليها فى إجازاتي الدراسية، وفى الأعياد والمناسبات الدينية حيث مقر أسرة والدي ووالدتي عليها رحمة الله.

هذه القرية التي أنجبت لمصر بعض زعمائها وقادتها الأجلاء منهم:

١ - فتحى الله باشا بركات: وكان عمدة لها ولم يرتض بالعمدية فارتقى إلى عضو الجمعية العمومية عام ١٩١٤ عن طريق الانتخاب العام، وأُنعِمَ عليه برتبة الباشوية عقب زيارة اللورد «كتشنر» له، بمنية المرشد عام ١٩١٧.

وتقدم صفوف الثائرين مع خاله «سعد زغلول» عام ١٩١٩ واشترك فى تأليف الوفد المصرى، حتى أصبح وكيلاً له، وكان أول من نادى بعدم منح الرتب والنياشين لأعضاء الهيئة النيابية، وقد نفاه الإنجليز إلى جزيرة «سيشل» مع سعد زغلول وعاطف بركات ومصطفى النحاس ومكرم عبيد وسينوت حنا. وذلك بأمر السلطات البريطانية عام ١٩٢١، وأفرج عنهم عام ١٩٢٣م، تولى منصب وزير الزراعة ثلاث مرات، كما تولى وزارة الداخلية، وكان له الفضل الأول فى نشر الجمعيات التعاونية الزراعية والاستهلاكية، وقد توفى عام ١٩٣٣.

- وقد كانت منية المرشد فى عهده مهبط زيارات العظماء من رجال السياسة.. فقد زارها من أعضاء الوفد المصرى «حمد الباسل، ومصطفى النحاس، ونجيب الغرابلى، وعثمان محرم، وحمدي سيف النصر»، وذلك بمناسبة العودة من «سيشل».. وأقيم بهذه المناسبة احتفال كبير بالسراى أو «الدوار» كما أقام الحاج أحمد الفتيانى صواناً كبيراً أما منزله بجوار مسجد «سيدي فتح»، ودعا إليه «الشيخ البواب» من قرية فوه لقراءة القرآن الكريم، وإنشاد الأغاني ابتهاجاً بالعودة من سيشل.

٢ - محمد عاطف بركات باشا: ولد بالقرية عام ١٨٧٢ وتعلم فى كتاب الشيخ أبو العينين سلام بالقرية، وفى سن ١١ أرسله والده إلى القاهرة فتعلم بمدرسة الجمالية

الابتدائية وكان معه فتحى زغلول وعبد الرحمن زغلول، وكان أصغر منهما سنا، وأقام مع خاله سعد زغلول بمنزله بعبادين ثم واصل تعليمه فى الأزهر الشريف والتحق بدار العلوم، وتخرج فيها وعمل بالتدريس .. ثم سافر فى بعثة حكومية إلى إنجلترا عام ١٨٩٦ وعاد للعمل فى مصر.. ووصل فى الوظائف إلى ناظر مدرسة القضاء الشرعى حيث كان هو المؤسس له بمساعدة خاله سعد زغلول .. وقد نفاه الإنجليز مع شقيقه فتح الله بركات وخالهما سعد زغلول إلى سيشل، وكان لعاطف باشا بركات شخصيته مميزة وقد ترك أثارا بالغة فى نفوس من عملوا معه، وكان على رأس من تأثر به حيث تتلمذ على يده الأستاذ «أمين الخولى»، وقد توفى عام ١٩٢٤.

٣ - الدكتور محمد بهى الدين بركات باشا: ولد بالقرية وتعلم فى كتابها، ثم انتقل إلى القاهرة حيث أتم تعليمه وتخرج فى مدرسة الحقوق المصرية. ثم سافر إلى فرنسا حيث نال درجة الدكتوراه فى القانون عام ١٩١٥.. وبعد عودته عمل أستاذا بمدرسة الحقوق المصرية.. ثم انتقل إلى وظائف القضاء وتقلد بعض المناصب الكبيرة، وقد اختير وزيرا للمعارف فى حكومة الوفد برئاسة مصطفى النحاس باشا، ووزيرا للمعارف مرة أخرى فى وزارة محمد محمود باشا.. وكان يفضل الاستقلال بعيدا عن الأحزاب فى حياته السياسية.. وكان بهى الدين باشا أول من وضع مشكلة تعلم اللغة العربية موضع الدرس والبحث لكى ييسر قواعدها لدى الناشئين عندما كان وزيرا للمعارف، وقد انتخب عضوا بمجلس النواب عن دائرة فوه، وعضوا بمجلس الشيوخ، وكانت له آراء صائبة فى مناقشات المجلس، كما عمل رئيسا بمجلس النواب واشتهر بالنزاهة والحياد التام وحسن الإدارة، وكان قد أسند إليه رئاسة ديوان المحاسبة «الجهاز المركزى للمحاسبات الآن» فى مبدأ إنشائه فأشرف على تنظيمه وإدارته، وحيث قامت الثورة على ١٩٥٢ اختير عضوا بمجلس الوصاية على العرش..

٤ - اللواء «محمد عاطف بركات باشا»: «خال المغفور له والدى المستشار محمد مرشدى بركات» أحد أعلام رجال القضاء، وكان من كبار رجال الشرطة ولعب دورا مهما فى كسر سلاسل البرلمان المصرى ليتمكن المعارضة من الولوج فيه وإبداء آرائهم المناوئة للقصر الملكى والإنجليز، وتقلد منصب مفتش وزارة الداخلية وحكمدار مدينة القاهرة، وعقب وفاته رثاه حافظ إبراهيم بقصيدة عصماء قال فيها:

حملوا على النعش الكريم
ولا تعجبوا فما كان سعدا خاله
سلالة الحسب الكريم وصفوة الأمجاد
ألقت له الأخلاق كل قياد

٥ - المستشار محمد مرشدى بركات أول قاض يعين بالقضاء بمحافظة كفر الشيخ حمل رسالة القضاء فكان نعم من حملها. وعرف عنه النزاهة والإستقامة والجهر بكلمة الحق الذى لم يخش فيه لومة لائم وكان أول رئيس لمحكمة الجيزة الابتدائية بدرجة مستشار عام ١٩٦٠، وله قلم شارك به فى العديد من المناسبات العامة والهامة التى مرت بها البلاد:

٦ - العمدة «محمد خواسك»: زعيم البلدة بلا منازع حيث كان يحاط من أهلها بكل توقير وحب واحترام إذ أنه نهض عليها وعمل على تقدمها وأقام بها مشروعات صناعية كبرى عادة على القرية بالخير العميم، وقد اختاره المرحوم كمال الدين حسين عضوا بمجلس محافظة كفر الشيخ.

٧ - الدكتور محمد خليفة بركات: أستاذ علم النفس ورائده فى مصر وله تولىف كثيرة فى هذا الخصوص حصل على الدكتوراه فى أوائل القرن الماضى من المملكة المتحدة. وكنت قد أرسلت كتاباً لأستاذنا العقاد حثه فيه أن يكتب عن هذه القرية التاريخية، وتكرم بإجابتي لطلبتى فى جريدة الأخبار حيث جاء على النحو الآتى:

«ترددت كثيراً فى كتابة هذا الخطاب إليكم لولا أن دفعنى إليه نفر من أبناء بلدى شاركونى الرجاء فى أن يشمل عطفكم ما به وأن يتسع صدركم للإجابة عما عن لهم ولى من استفسارات».

«فقد قرأت فى رحلات ابن بطوطة ما يلى عن بلدتنا منية المرشد. قال: سمعت أيام إقامتى بالإسكندرية بالشيخ الصالح العابد المنقطع المنفق من الكون بعبد الله المرشدى وهو من كبار الأولياء المكاشفين.. ووصلت إلى زاويته منية المرشد ووجدت عنده الأمير سيف الدين بملك وهو من (الخاصكية) لم ذكر ابن بطوطة بعد ذلك أنه قد جاءته رؤيا فى المنام وكاشفه بها الشيخ المرشدى وأنبأه بأشياء معينة وقعت له فيما بعد وجاءت كما أخبره سلفا هذا الشيخ الصالح.. والذى أود أن أسأل عنه: ما هو الاسم الحقيقى لبلدتنا هل هو منية المرشد كما تعرف الآن؟ أم بنى مرشد كما ذهب ابن بطوطة؟ أم ميت المرشد كما تقرأ فى المطبوعات الرسمية والحكومية؟.. ومن هم الخاصكية هؤلاء، وكيف استطاع سيدنا المرشدى أن يتنبأ بأشياء هى فى عالم الغيب والغيب كما نعلم عند الله وحده» وأجاب أستاذنا

العقاد: ومسألة الخوارق والكرامات التي أشار إليها الأديب «المرشدى» من المسائل المطروقة المتواترة في رحلة ابن بطوطة يذكر طرفا منها عن سحرة الهند والمشرق وطرفا آخر عن النساك الصالحين في البلاد الإسلامية، وبعضها مما رواه عن أهل الهند قد ثبت أخيرا أنه ضرب من المهارة مع التأثير (السحري) الذي نسميه الآن بالتنويم المغناطيسى للأفراد أو للجماعات. وقد ذكر ابن بطوطة أن الشيخ المرشدى كان يزود ضيوفه بالطعام من الثمرات والمأكّل في غير أوانها، وهى خارقة سمعنا نحن نمثلها عن شيخ ناسك في إقليم جرجا وشهدا أناس لا نشك في صدقهم وفطنتهم، ومنهم المتعلمون والمثقفون، ومنهم الأذكياء الحصفاء وإن لم يكن لهم حظ وافر من المعارف العلمية، وجملة هذه الخوارق شبيهة بما يقدر عليه زمرة المنومين ممن يعرضون أعمالهم في المحافل العامة ويقول عامتهم إنهم يستعينون على هذه الأعمال بخفة الحركة مع التأثير المغناطيسى بالنظر والإشارة وتكرار الكلمات التي تفعل فعل التخدير في أسمع الناظرين المستغرقين في النظر والانتظار.

وإذا كان القائمون بهذه الخوارق أناسا جادين متعبدين فالراجح عندنا أنهم جادين متعبدين والراجح أيضا عندنا أنهم يكسبون القدرة عليها بطول الرياضة على التلقين والإيحاء، وقد يفسر الرياضيون الذين يتعاطون رياضة (اليوجا) قدرتهم على خوارق الطبيعة بإمكان تسليط الإرادة على جسد الإنسان حتى يحتمل ما لا تطيق الأجساد احتماله بغير هذه الرياضة، وقد يزعمون أن تسليط الإرادة على نواميس الطبيعة ممكن بعد طول المراتبة عليها كنا يمكن تسليطها على الجسد الإنسانى وأجساد الحيوان على العموم .. وذلك زعم لم يقم عليه البرهان العلمى ولاسند له غير أقوال أولئك الرياضيين.

على أن ابن «بطوطة» لم يذكر في خبره عن أبى عبد الله المرشدى أنه شهد بعينه كراماته في أحضار الثمرات والمأكّل في غير أوانها ولكنه قال إنه سمع عنها وهو نازل بالإسكندرية قبل لقائه الشيخ في زاويته، وإنما ذكر ابن بطوطة تلك الكرامة التي «سميتوها» علما بالغيب: وخلصتها أنه رأى في منامة رؤيا عرفها الشيخ في اليوم التالى قبل أن يطلعه ابن بطوطة على تفصيلاتها، وليس في علم الشيخ بتلك الرؤيا ما يستلزم تفسيره بعلم الغيب، لأنها قد تفسر بالإيحاء الذى ينتقل من فكر إلى فكر في اليقظة والمنام، ولكننا - على هذا - لا نرى أن العلم يستطيع الجزم باستحالة علم الغيب بإذن علام الغيوب، ولأن الحكم باستحالته لا يصح لأحد قبل الحكم القاطع بحقيقة الزمن وحقيقة المستقبل وما سيحدث

فيه : هل هذا المستقبل موجود الآن؟ أو هو معدوم الآن يوجد لحظة بعد لحظة؟ وإن كان معدوما فما هو الحد الفاصل بين لحظة عدمه ولحظة وجوده.

وإذا كان العقل البشرى لا يستطيع أن يجزم بحقيقة الزمن كله وحقيقة المستقبل المغيّب عن العقول فليس له أن يحكم باستحالة الغيب ولا باستحالة نقله من علم الله إلى من يتمناه من عباده، وليس لأحد - على كل حال - أن ينكر أن النفس الإنسانية المشغولة بأمر مستقبلها قد تتصور ذلك المستقبل حلما قابلا للتفسير الصحيح على أسلوب شبيه بأسلوب التنجيم الذى نرجع إليه فى تفسير أحلامنا وما تبشرنا به من آمال نترقبها ونمثلها لأخلائنا الخفية على مختلف الأشكال والتعبيرات، وما من أحد شغل نفسه بأمل من الآمال إلا تمثله فى حلمه على صورة تتقبل التحقيق كما تتقبل الخلاف والمناقضة.

أما اسم البلدة فهو فى رحلة ابن بطوطة (منية بنى مرشد) وهو فى الخطط التوفيقية (منية ابن مرشد) وهو فى الأوراق الرسمية كما ذكرت (ميت مرشد) مختزلة كما هو ظاهر من كلمة (منية) التى يقول العارفون باللغة القبطية أنها مأخوذة من كلمة (مون) أو (مين) الفرعونية بمعنى بلدة، وتتركب منها ومن الأعلام المنسوبة إليها عشرات من أسماء البلدان تكتب فى الأوراق (منية) وتنطق على الألسنة (ميت) كميت غمر وميت رهينة وميت سمنود وغيرها وغيرها.

أما (الخاصيكية) فهم مماليك كانت لهم رتبة ممتازة ودرجات عسكرية فى قصر الإمارة أو فى الجيش كالأتابكية والسلحدارية والحمدارية (حملة السلاح وحملة الجام) وقد كانوا عهد المماليك برتبة مرافق، رسلا خصوصين للسلطان أو الأمير.

ويلاحظ أن مولد الشيخ المرشدى يحتفل به فى شهر (مسرى) مما يدل على علاقة البلدة قديما بمواسم الزراعة التى كانت تؤرخ بمواقيت مصر القديمة (الهيروغليفيه) فيما يتعلق بالنيل.

قرية - بلا شك - لها فى تاريخ مصر.. تاريخ..



فلسطين.. «والعم سام».. غير الأمين..؟؟!

مثل النهر الذى يغير ماءه بين الفينة والفينة وبين الحين والحين، تغير أمريكا سياستها تجاه من تريد حتى تبديد. ولو إبادة معنوية، هكذا دأبت السياسة الأمريكية عبر حقبة طويلة من الزمن إذ هي دائما تعشق التحكم فى الشعوب، بيد أن سترها قد انكشف أمام العالم برمته على موقفها اللعوب.

فأمريكا تبحث دوما عن مصالحها أنى وجدت وحيثما كانت بغض النظر عن مغبة ما تفرزه مصالحها من ضرر بالغ على غيرها من الدول.

هكذا فعلت مع العراق الذى حولت شعبها إلى شيع وأحزاب تتصارع فيما بينها من أجل الذهب الأسود الذى ترقد عليه العراق وسارت على هذا الدرب مع أفغانستان وباكستان وفيتنام الشمالية والجنوبية وكذلك مع كوبا ومن قبلها مع الهنود الحمر.

ويحدثنا التاريخ القريب أن (كاسترو) «زعيم كوبا» إذ يمم وجهه قبالة الرئيس الأمريكى الجنرال «دوايت أيزنهاور» للحديث معه عن مستقبل كوبا أشاح الرئيس بوجهه عنم جاء يبلغه هذه الرغبة قائلاً له: ليس لدى وقت لمقابلة «كاسترو»؟!.. فما كان من «كاسترو» - ولم يكن يعرف الشيوعية من قبل - إلا أن اعتنق الشيوعية كراهة فى أمريكا؟!.

وحينما أراد الرئيس المصرى «جمال عبد الناصر» أن يبني لمصر سداً العالى سدت أمريكا وجه البنك الدولى فى تحقيق مطلب الزعيم المصرى، فما كان منه إلا أن اتجه إلى الدول الشيوعية وساعدته تلك الدول على تحقيق أمله، وآمال مصر.

واليوم - وفلسطين - تلجأ إلى هيئة الأمم المتحدة لتحقيق حلمها كدولة يعترف بها العالم ومع تسليم جُل الدول بهذا الذى تطلبه فلسطين يقف «أوباما» مهدداً باستخدام حق النقض (الفيتو) حتى يجبر الشعب الفلسطينى على عدم نيل حقه المشروع فى ذلك خالعا - بهذه المتابة - «ثوبه» الذى ارتداه غداة إلقاء خطابه فى جامعة القاهرة داعياً فيه إلى الاعتراف بحق الدول فى تقرير مصيرها وكذلك ما طالب به إسرائيل منذ شهور قلائل أمام الكونجرس الأمريكى من وجوب رجوعها إلى حدودها التى كانت عليه قبل حرب يونيه ١٩٦٧.

فالتحيز الأمريكي لإسرائيل ليس وليد اليوم فهو ضارب في القدم.. أليست أمريكا هي التي كانت من أوائل الدول التي اعترفت بإسرائيل منذ ولادتها عام ١٩٤٩؟ بعد أن كانت فلسطين جزءاً من الدولة العثمانية، وكان سكانها من العرب يمثلون نسبة ٩٥٪ من سكانها؟.

ولقد داست أمريكا بقدماً على قرارات الأمم المتحدة التي جاءت جميعها لصالح العرب بما فيها بدهة فلسطين وكذلك فعلت مع قرار مجلس الأمن رقم ٤٦٥ الذي دعا كل دول العالم إلى عدم تزويد إسرائيل بأية مساعدة خاصة بالإستيطان في أراضي فلسطين المحتلة .. وبدون حياء، أو حرج، زاعمة أن القرارات الدولية السابقة أصبحت قديمة، بعد أن تجاوزها الزمن، أي زمن؟. لا نعرف. وعندما كان الرئيس الأمريكي «جيمي كارتر» يخاطب أعضاء الكنيست الإسرائيلي في غضون شهر مارس ١٩٧٩ نطق بلسانه (والرجل مخبوء تحت لسانه حتى إذا تكلم ظهر) قوله: إن إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية تكونتا بالرواد الأوائل؛ إن وطني قد تألف من المهاجرين واللجائين الذين حظوا رحالهم على أرضها من العديد من الدول.. إننا نتقاسم إرث «الإنجيل»!؟

لقد ادعى اليهود أنهم أبناء الله، وخلفاء الله، وأحباب الله، مفسرين هذا بأنهم الأقوى والأصلح وأن لهم الأرض بما رحبت من النيل إلى الفرات؛ ولقد شاهد - كاتب هذه السطور - هذا الشعار على مكاتب القادة الإسرائيليين مفتوحة أمام أعينهم في الموقع الذي استولت عليه القوات المصرية خلال حرب أكتوبر المجيدة وأضحى مزاراً لمن يرغب أو يريد.

يقول «جوستاف لوبون»: إن تاريخ اليهود هو تاريخ المذابح الدموية.. وإنهم أساءوا في وصف الله، ونسبوا إليه صفات بشرية متأثرين بذلك بالأديان الوثنية.. ومبدأ اليهود كما في سفر «يشوع»: (أهلكوا جميع ما في المدينة، من رجل وامرأة، وطفل وشيخ؟، حتى البقر والغنم والحمير - بحد السيف.. وأحرقوا المدينة، وجميع ما فيها بالنار) أو ليس اليهود هم الذين صلبوا «السيد المسيح» عليه السلام! لماذا تسير أمريكا - إذن - وراءهم؟! ولماذا هي تشجعهم دائماً على البغى والعدوان. واستلاب حقوق الفلسطينيين!؟.



كلمات.. لها معنى.. ولها مغزى..

هناك كلمات تتحول إلى آوايد تقرع الأذان، وتستقر في القلوب والوجدان. فقد سئل ابن المقفع: ما البلاغة؟ فقال: الإيجاز من غير عجز، والإطناب في غير خطل، وسئل مرة أخرى عنها فقال: هي التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها. والكلمات الموجزة هي التي يطلق عليها الأوايد، والآبدة هي تلك الكلمة التي تذهب في أسمع الزمن مذهب الخلود.

لما كان ذلك كذلك، وهو كذلك، فعسى أن ينتفع من يقرأ هاتيك الأوايد مثلما انتفعت بها، وبارك الله فيمن تعلم العلم وعلمه.

من كلام أمير المؤمنين - كرم الله وجهه - : العفو عن المصر، لا عن المقر. قطيعة الجاهل تعدل صفة العاقل. اتقوا من تبغضهم قلوبكم.

قال بعض الصلحاء: لولا أني أكره أن أعصى الله لتمنيت أن لا يبقى في هذا المصر أحد إلا وقع فيّ واغتابني، وأى شيء أهنأ من حسنة يجدها الرجل في صحيفته يوم القيامة لم يعملها، ولم يعلم بها. المؤمن لا يثقله كثرة المصائب وتواتر المكروه عن التسليم لربه والرضا بقدره. كالحمامة التي يؤخذ فرخها من وكراها وتعود إليه. العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلا، والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالما. عمر الدنيا أقصر من أن تطاع فيه الأحقاد. من أنس بالله استوحش من الناس.

وقيل لأبي ذر - وقد رمدت عيناه - هلا دوايتهما. فقال: إني عنهما لمشغول، فقيل له: هلا سألت الله أن يعافيهما؟ فقال أسأله فيما هو أهم من ذلك.

قال بعض العارفين: إن خيرات الدنيا والآخرة جمعت تحت كلمة واحدة وهي التقوى. انظر إلى ما في القرآن الكريم من ذكرها، فكم علق عليها من خير، ووعد عليها من ثواب، وأضاف إليها من سعادة دنيوية وكرامة أخروية، ولندكر لك من خصالها وآثارها الواردة فيها اثنتي عشرة خصلة:

- الأولى: المدحة والثناء، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَيَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة آل عمران - الآية ١٨٦].

- الثانية: الحفظ والحراسة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَرُّوْا وَتَقْتُلُوا لَا يَصُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ سَيِّئًا﴾ [سورة آل عمران - الآية ١٢٠].

- الثالثة: التأييد والنصر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [سورة النحل - الآية ١٢٨]

- الرابعة: النجاة من الشدائد، والرزق الحلال، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَرِزْقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [سورة الطلاق - الآيات ٢ - ٣].

- الخامسة: صلاح العمل، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [سورة الأحزاب الآيات ٧٠ - ٧١].

- السادسة: غفران الذنوب، قال الله تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سورة الأحزاب الآية ٧١].

- السابعة: محبة الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ [سورة التوبة الآيات ٤، ٧].

- الثامنة: قبول الأعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ [سورة المائدة - الآية ٢٧]

- التاسعة: الإكرام والإعزاز، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات - الآية ١٣].

- العاشرة: البشارة عند الموت، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [سورة يونس - الآيات ٦٣ - ٦٤].

- الحادية عشرة: النجاة من النار، قال تعالى: ﴿وَيَسَّجِي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [سورة الزمر - الآية ٦١].

قال بعض الحكماء: مَنْ أظهر شركك فيما لم تأته، فاحذر أن يكفر بنعمتك فيما أتيته.

العدو عدوان: عدو ظلمته فجنيته بظلمك إياه عداواته، وآخر ظلمك فجنى بظلامته إياك عداوتك، فإن نابتك نائبة تضطرك إلى أحدهما فكن بمن ظلمك أوثق منك بمن ظلمته.

من أشرف فعال الكرام غفلتهم عما يعملون.

من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلا.

لسان الجاهل مالك له.. لكل قوم يوم.

موت الخير راحة لنفسه ، وموت الشرير راحة لغيره .
خير مالك ما وقاك ، وشره ما وقيته . . خير ما جريت ما وعظك .
خير الأوطان أعونها على الزمان . . خير البلاد ما حملك .
فوت الحاجة خير من طلبها من غير أهلها .
ظلم الضعيف أفحش الظلم .
من التوفيق التوقف عند الحيرة .
خاطر بنفسه من استبد برأيه .
قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل .
صلاح نفسك معرفتك بفسادها .
ارع حق من عظمك لغير حاجة إليك .
اعرف أخاك بأخيه قبلك .
قارب الناس في عقولهم تسلم من غوائلهم .
دع ما شاء القلب لا ماشاء الرب .
لا تنكح خاطب سرك .
لا تفتح بابا يعيبك سده ، ولا ترسل سهما يعجزك رده .
لا تستح من إعطاء القليل ، فإن المنع أقل منه .
لا تكن كالجراد يأكل ما وجدته ، ويأكله ما وجدته .
لا تكن رطبا فتعصر ، ولا يابسا فتكسر .
لا يزيدنك لطف الحسود إلا وحشة منه .
إذا قُبِح السؤال حسن المنع .
لا تشرب السم اتكالا على ما عندك من الترياق .
لا تتهاون بالأمر الصغير إذا كان يقبل النمو .
لا تقل ما لا تعلم فتهتم بما لا تعلم .
لا تصحب الأشرار فإنهم يمتنون عليك بالسلامة منهم .
إذا فاتك الأدب فالزم الصمت .
إذا اشتبه عليك أمران فاجتنب أقربهما إليك .
إذا لم يكن ما تريد فرد ما يكون .

وقال الشاعر:

خلقان لا أرضاهما لفتى بطر الغنى ومذلة الفقر
فإذا اغتنيت فلا تكن بطرا وإذا افتقرت فتبه على الدهر

قال الشاعر:

إن الليالى للأنام مناهل تطوى وتنشر بينها الأعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار

وقال العلماء: الغيبة جهد العاجز، وإن أفضل الناس من تواضع عن رفعة. وعفا عن قدرة، وأنصف عن قوة.

وقال بعض الأعراب لابن عباس: من يحاسب الناس يوم القيامة؟.. فقال: يحاسبهم الله تعالى. فقال الأعرابي: نجونا إذن ورب الكعبة. فقيل له وكيف؟.. فقال: إن الكريم لا يدقق في الحساب.

قيل لراع عابد وجدت الذئب بين أغنامه وهى لا تؤذيها: متى اصطلحت الذئب مع غنمك؟ قال: منذ أصطلح الراعى مع الله.
وقال الشاعر:

إذا صحبت الملوك فالبس من التوقى أعز ملبس
وادخل إذا مادخلت أعمى وأخرج إذا ماخرجت أخرس

سأل بعض الأنبياء ربه أن يكف عنه ألسنة الناس، فأوحى الله إليه: إن هذه خصلة لم أجعلها لنفسى، فكيف أجعلها لك؟.
قال أديب:

إذا رأيت أمورا منها الفؤاد تفتت
فتش عليها تجدها من النساء تأتت

وأخيرا وليس آخرا أعجبت أيما إعجاب بهذا البيت القديم للشاعر الأعشى الهمداني، وهو من الذين قتلتهم أشعارهم، ومن ضمن قصيدة عصماء له وهى من عيون الشعر العربى قال:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطيّر

وقال أستاذنا «العقاد» في الصبر :

إيه يا دهر هات ما عندك من مصائب وانظر عزمات الرجال كيف يكون
ما تعسفت فى بلائك إلا هان بالصبر منك ما لا يهون

وفى الختام.. اجعل كتابك عالما تختلف إليه.

□□□

العقاد .. عبقرية علمية ..

من المسلمات .. وأيضاً من البديهيات التي يلحظها البصر ولا تخطئها البصيرة أن السماء تبدو على البحر أعظم مما هي ، كما لو كنت تنظر إليها من سماء .. لا من أرض؟ .
ومن عجب أن السماء ذاتها - كما عبر أديب مصر مصطفى صادق الرافعي وهي فوقنا في كل مكان - يرتحل الناس إليها في الأماكن الخالية لى يروها مع أشياء أخرى في هاتيك الأماكن فهي تبدو المرائى حينئذ. أكثر صفاء ، وأشد نقاء وأبهى ضياء؟
وقد يكون مرد ذلك فيما نرى أن من يرى عن قرب لا يرى بوضوح فالإنسان بحاجة لكي يمعن نظره. وينعم فكره في قيمة أى شئ أن يبتعد عنه قليلا حتى يتسنى له أن يراه من بعد على حقيقته وفحواه.

وقد باعد الزمن بيننا وبين عبقرى الفكر المصرى والعربى الأستاذ عباس محمود العقاد الذى رحل عنا فى مثل هذا اليوم منذ خمسة وثلاثين عاما بعد أن (ملأ الدنيا وشغل الناس) كما عبر عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين فى رثائه بجريدة الجمهورية آنذاك .. كان الأستاذ العقاد ولا يزال ، بل وسيظل ملء الأرجاء والأجواء .. بيد أنه أصبح اليوم - بعد أن بعد عنا - كالسما البادية على صفحة مياه البحر المترامى الأطراف تتسع وقعتها ويشف منظرها المرائى من بعيد. فهاهوذا العقاد العظيم يصبح كالمعين الصافى يفيض ولا يغيض - يتسابق الزمرة من البلغاء والمفكرين والأدباء .. ناهيك عن العلماء ، فى الكتابة عن مواهبه المتعددة وأثاره المتوهجة. تؤلف عنه الكتب ، بل والرسائل العلمية الجامعية التى تترى يوما يعد يوم عن فكره ، وأدبه ، عن شعره ونثره ، فى شتى مناحيه ، وفى مختلف فلسفته ومراميه.

وإذا كان (شيللى) قد اعتنق القول القائل: (وطنى هو العالم) فقد آمن العقاد بأن: (وطنه هو الكتاب).

ألم يعلمنا الأستاذ «أنه لا غنى للأديب أو العالم عن الإلمام بغير ثقافته الخاصة - ليصبح الحكم على حقيقة من حقائق المعرفة العامة»؟.

ومن هنا ديج يراعه كتابه الجميل الجليل (فى بيتى) وجعل له مقدمة يقول فيها:
«وبيت الكاتب هو العالم بما رحب»؟.

ألم يقرأ، ويقرأ حتى. فى الكتب العلمية المتخصصة.. حتى نب أقرائه رفاق أترابه
وجعل الزعيم سعد زغلول يصفه بأنه «جبار القلم»؟.

وانظروا إليه وزعيم الأمة سعد يعتب عليه والعقاد ينعى عليه نسيانه لمسألة حالة
بالسودان الشقيق: لو عاتبني كل فرد فى الأمة عتابك. لما نجوت من العقاب. ويرد العقاد
العظيم: «ولكن لبس كل فرد فى الأمة يا باشا، هو عباس العقاد»؟.

ومن أوجز وأشمل ما يمكن أن يوصف به العقاد أنه (أديب فى ثوب عالم. وعالم فى
ثوب أديب).. فهو على كثرة ما كتب وعلى وفرة إنتاجه الأدبى والشعرى فإن الكثيرين
يجهلون أن العقاد كان ذا ثقافة علمية خاصة عالية.. وأنه أول صاحب (منهج علمى) فى
الأدب العربى الحديث؟

فهو أول من أثبت تأثير العلم على الأدب.. كما سوف نرى.

يقول العقاد: الثقافة اليوم تنقسم إلى علمية وأدبية. بنى (عالم) لا يعرف شيئا عن
(هومبوس) و (فرجيل). وأديب لا يعرف شيئا عن المادة ونظان الأفلاك.

وكلاهما نصف إنسان أما الإنسان الصحيح فهو الذى يعرف العلم، ولا يجهل الأدب،
أو يعرف الأدب، ولا يجهل العلم. وإن لم يبلغ منهما معا مبلغ التخصص والامتياز.. ثم
يرد قائلًا: لقد قيل إن المتخصص نصف إنسان. فقل ولا حرج: كلا.. ولا هو نصف
إنسان وإنما هو كما قال «نيتشه»: «أذن كبيرة أو لسان طويل. تمشى به قدمان؟!..»

ومن هنا جاءت عبقرية العقاد العلمية التى فاق بها المتخصصين ويز بها المتعمقين _
فى مجال العلم نفسه.

فكان أول من صحح مقالة (داروين) التى شاعت وذاعت على السنة الخاصة قبل
العامه التى نسبت إليه خطأ: (البقاء للأصلح).. ليعلنها أن داروين لم يقل بهذا وإنما
قال «البقاء للأنسب» وليس «للأصلح».. فإن الإنسان يموت وهو الأصلح ويحيا الميكروب
وهو الأنسب..؟. وعندما يعترض العقاد على تهليل بعض العلماء الأمريكيين على اكتشافهم
نبت أخضر على سطح المريخ يثبت وجود حياة على أرض هذا الكوكب. فينبى له أستاذ
علم الفلك فى جامعة القاهرة - يريد أن «يدهشه» أو «يعلمه» أن هناك عالمين أحدهما يدعى
(برسيقال) والثانى يسمى (لويل) قد قالا بهذا.. يرد العقاد على أستاذ الفلك: أن هناك
عالمًا واحدًا فقط وليس عاينين.

يدعى (برسيغال لويل)..؟؟ ثم يزيد أن ما أكدته دكتور الفلك منفييا في كتاب الثقات من الفلكيين.. وآخرهم أكبر عالم فى علم الفلك ويدعى (شباريلى) فى كتاب بلغ من ذبوعه وانتشاره أنه كان مثار التقريظات الصحفية والإذاعية فى أوربا وفى أمريكا.. والعقاد أول من كتب عن (البحث العلمى) فى (تاريخ الأدب) وسلط (قراءاته العلمية) على كشف أسباب وفاة أمرئ القيس وابن الرومى من الأقدمين وجمال الدين الأفغانى، وعبد الرحمن الكواكبى من المحدثين، فحلل أسباب وفاتهم باستخدام علم الطب. وعلى غير مادون عنها فى كتب السيرة وفى كتب التاريخ.. وهو نفسه العقاد الذى ألم به المرض. فرفض أن يعالج خارج الديار. (لأنه لا علاج له). وشخص حالته المرضية بدقة حتى أن عالما طبيا كبيرا هو المرحوم الدكتور أنور المفتى قال للكاتب الكبير أنيس منصور الذى كان أول وآخر من عاده: إن تشخيص العقاد لمرضه لا يعرفه واحد فى المائة من الأطباء المتخصصين.

وعندما مات العقاد - كتب الأستاذ أنيس منصور يقول:

«لقد قضى العقاد الطبيب، على العقاد الأديب؟!».

رحم الله العقاد - العالم الأديب - فى ذكرى رحيله.



إبراهيم باشا .. قائد ثورة ١٩١٩؟! ..

إنجلترا هي عاصمة بريطانيا.. والأميرة «ديانا» هي زوج ريتشارد قلب الأسد، وتركيا دولة عربية، والنيل ينبع من رشيد!.

هذا بالنسبة لمعلوماتهم العامة الثقافية. أما اللغة العربية فحدث ولا حرج؟ فمن جر للمرفوع، ونصب للخبر، إلى التعرّف في التعبير والخطأ في الإملاء. ويكفي للدلالة على ما تردوا فيه أن أحدهم - فيما نشرته إحدى المجلات، طلب قردا من «القرود».. بينما كان يقصد قرضا من القروض!!.. ويبدو أنه كان يعلم سلفا أن اللغة العربية هي لغة «الضاد» فاستبدل «الضاد» «بالدال» ومن ثم يثاب على هذا اللغو في اللغة، كما يثاب المرء بالنيات!!.

ذكرتني هذا المستوى المتدنى لهذه «العينات» من إجابات بعض خريجي «الجامعات» في اختبارات القبول بالإذاعة المصرية، ووزارة الخارجية.. «ولم ينجح منهم أحدا؟!».. أقول ذكرني هذا «بعينات» مماثلة من إجابات زملاء لهم من خريجي الجامعات في اختبارات القبول «بكلية الإعلام» إبان فتح أبوابها لقبول أول دفعة بها منذ أكثر من ربع قرن مضى!.

وقد كنت أحد الذين تقدموا للانتظام بالدراسة فيها إذ أن باب القبول قد فتح بها لجميع الخريجين من التخصصات المختلفة من الجامعات المصرية لمقابلة الأستاذ الدكتور «جمال العطيقي» في مكتبه بالدور الحادي عشر بجريدة الأهرام إذ أنه كان مشرفا على هذه الكلية. لنسأله عن نتيجة الاختبار، وإذا به ونحن جلوس إليه يزف إلى بشري تفوقى في هاتيك الاختبارات. وأنتى حزت قصب السبق فيها وأن ثمة منحة دراسية بباريس، تنتظرني بعد قليل.

ثم إذا بوجه الرجل يربد، ويكفهر، وهو يقول: إن مستوى إجابات المتقدمين للقبول بهذا المعهد العلمى وهم جميعا من حاملى الليسانس والبكالوريوس.. بل والماجستير كان هابطا. الأمر الذى ترك لديه أثرا غائرا ومحبطا.

فوجئت فى اليوم التالى لهذه المقابلة بمقال ديجه يراعه فى جريدة الأهرام معنوننا بعنوان «أمية المتعلمين» من خلال امتحانات كلية الإعلام؟ عدد فيه الدكتور العطيقي،

الأخطاء التى وصمت هؤلاء المتقدمين بالجهل المميت ، ووسمتهم بالتخلف المقيت . والأزورار عن تربية العقل الذى فضل الله به الإنسان على سائر المخلوقات . فمن قائل عن : « سيزا نيراوى » إنها أشهر راقصة فى مصر؟ ومن أجاب عن استفسار عن محمد عبده «الإمام محمد عبده» على أنه المطرب السعودى المعروف «محمد عبده»؟! ومن تطوع فوسد الزعيم أحمد عرابى كرسى الإدارة رئيسا لإحدى الشركات ، ومن جهر دون خجل أن من يمتطى سهوة جواده فى ميدان الأوبرا المصرية هو قائد ثورة ١٩١٩؟! .

أما جوجول وتشيكوف وموليير وفولتير ، فقد اختلط بشأنهم الحابل بالنابل ! .
من المسئول عن هذا الداء ، وأين يكمن الدواء؟ .

اختلف البعض وتباين : فمن أرجع هذا إلى «انشغال» الأستاذ الجامعى عن الطالب قلبا وقالبا «بمسائل شخصية» ومن عزا ذلك إلى تقعر نظم التعليم سواء أكان فى المدرسة أم الجامعة ناهيك عن البيت وأن المسئولية «تضامنية» ومن أرتأى أن ما حدث إنما يقع أولا وأخيرا على عاتق الطالب نفسه وعلى كاهله.. لأنه «لايقراً»؟ حتى بلغته القومية ، وكان هذا هو رأى الدكتور عصام سالم رئيس جامعة الإسكندرية .
وما أرتأه ورآه رئيس الجامعة هو الصحيح ! .

القراءة كما عبر فيلسوف الصين «كونفوشيوس» هى مفتاح الشخصية وسر قوتها ، وتفوقها .

وفى نصيحة حكيم فرعونى لابنه : قد بلغنى أنك أهملت دراسة الكتب وأنتك تتسكع من طريق إلى طريق.. ومن ثم أبعدت الناس عنك وسقت روحك إلى الهلاك ، وأصبحت مثل المجذاف المحطم فى السفينة لا يتجه إلى أية ناحية.. وطن نفسك على أن تكون «قارئا» حتى تستطيع أن تدير العالم كله .

ومن وصية «جيتى» لابنه «بيبى» ليتنى أستطيع أن أجعلك تحب الكتب أكثر من أمك وليتنى أتمكن من أن أريك جمالها.. إنها أعظم من أى شئ آخر .

وها هوذا الدكتور أحمد زويل - عالم مصر الشاب الذى حصل على أكبر جائزة عالمية فى العلم من الولايات المتحدة الأمريكية يعود إلى مصر زائرا وفى يده جائزة المجد والفخار ، وعلى رأسه إكليل الغار - يقول «أعطونى كتابا أقرؤه واطركونى بعد ذلك بمفردى على المريخ»؟! .

وتعالوا معى لننعم فكرنا . وننعم نظرنا.. فى هذه الصورة التى رسمها أديب فنان
لعملاق الأدب العربى الأستاذ عباس محمود العقاد. الذى مرت بنا ذكرى مولده ولم يحتف
أو يحتفل بها أحد.. بصور هذا الأديب الأستاذ العقاد بعد وفاته - وقد أنعم الله عليه
بإدخاله الجنة.. فطفق الأستاذ العقاد يبحث فى أرجاء الجنة عن كتاب يقرأه حتى إذا
لم يعثر على ضالته خرج من الجنة مغضبا وهو يقول : ما فائدة الجنة إذا لم يكن فيها
كتاب يقرأ؟! .

ذلك لأن العقاد العظيم كان ينفق جل وقته.. ويمضى ساعات عمره بين الكتب ومع
الكتب يغترف من معينها وينهل من منهلها، حتى أصبح العقاد العبقري، صاحب
العبقریات.. أليس هو القائل إننى أقيس أى إنسان «بعدد» الكتب التى قرأها.. ومن
المأثور عنه قوله الجميل الجليل: إننى أقرأ لا زهدا فى الحياة، ولكننى أقرأ لأن «حياة
واحدة لا تكفينى».. ومات العقاد.. وقد أضحى على حد تعبير الأستاذ أنيس منصور.. وهو
الحاصل على الشهادة الابتدائية.. أعظم المفكرين - العرب - فى القرن العشرين.
ويا أيها الراسبون اقرأوا وقرأوا لأنكم لو كنتم قد قرأتم لما كنتم قد رسبتم؟! .
ألم يرد فى الكتاب المقدس «فى البدء كانت الكلمة»؟.
وألم تكن أول كلمة أنزل الله بها سبحانه وتعالى كتابه المبين كلمة «اقرأ»؟! .



يوم.. أن مات سعد زغلول (٢/٢)

وإن كان لنا أن نذكر لتبيان حب الشعب المصرى الجارف لسعد وإنصاعه إلى قيادته فإننا نذكر هذا الحدييث الذى سجله التاريخ.. فبينما كان سعد زغلول يعانى ظلمة المنفى جاءت إلى مصر لجنة «ملنر» فأصدر الوفد قرارا بمقاطعة هذه اللجنة على أساس أن المفاوضة يجب أن تكون مع سعد زغلول وحده.

«ملنر» لم يصدق أن المصريين جميعا قاطعوه.. وفى أحد الحقول النائبة توقف ركب ملنر، ونزل الرجل ليحاصر بأسئلته فلاحا بسيطا، وهاك هو الحوار الذى دار بين ملنر وبين أحد فلاحي مصر:

س : اسمك؟

ج : (صمت)!

س : هل أنت متزوج؟

ج : (صمت)!

س : هل عندك أولاد؟

ج : اسأل سعد باشا؟!

س : الساعة كم الآن؟

ج : اسأل سعد باشا؟!

وأضطر الإنجليز إلى الافراج عنه وعاد إلى مصر واستقبل من شعب مصر استقبالا لم يعرف التاريخ له مثيلا حتى أن كاتبا كبيرا كتب عنه يقول « لو قدر للاسكندر الأكبر، أو نابليون بوناپرت أن يشهد ما شهده سعد زغلول من استقبال الجماهير الهادرة له.. فماذا كان يتمنى لنفسه أكثر من ذلك؟! ». ونشرت جريدة البلاغ آنذاك مانشيتا عريضا معنونا منية المرشد - معقل الزعيمين فتح الله بركات وعاطف بركات - تحتفل بعودة أبنائها زعماء مصر من المنفى وتناقلت صحف العالم هذا المانشيت.

وعاد الثائر العظيم يكافح من أجل الدستور حتى صدر دستور ١٩٢٣ الذى جعل فيه حكم مصر لإرادة الشعب رغما عن ملكها أحمد فؤاد.. ثم ترأس مجلس النواب فشرف به

المجلس «وكان رئيساً له ولا كل رئيس» كما عبر المفكر الكبير عباس محمود العقاد في مقال له عن سعد بعنوان «عظيم كل حياته عاصمية».

وعندما حانت منيته فى اليوم الثالث والعشرين من أغسطس عام ١٩٢٧ انفجرت مصر عن بكرة أبيها صيحة واحدة بالتشنج والبكاء المر، فلم يكن أرهب من ذلك السكون إلا هذا البكاء الذى اتصل مداه فى لحظات معدودات بكل مكان فى القاهرة وكل مكان فى أرجاء البلاد حيث كان كل نبأ منظورا فى تلك المرحلة من مراحل السياسة المصرية إلا موت «سعد زغلول»، فالدستور قائم لا يُعلم مصيره والمفاوضات على القضية المصرية ماضية لا يُعلم مصيرها والمساعى كثيرة والعروض أكثر وسعد وحده هو ميزان الأمور بعد ذلك البحر اللجى من المساعى والفروض على أن الناس بغتوا بالروعة فى غير تفكير ولا انتباه لحقيقة ما يروع. يستوى منهم من يكثرث بالسياسة ومن لا يكثرث لها أقل اكتراث، بالنبا المخيف وهذا مصرى ساقته قدماه مسرح من مسارج الغناء لا يقصده الرواد إلا للهو والمجون، وتوسط الجميع ثم وقف وصاح وهو لا يدري لم يحمل النعى إلى ذلك المكان وهو يقول: أيها الإخوان: البقية فى حياتكم (الباشا مات) فما لفظ بها حتى صرخت المغنية - التى كانت تتلوى بالغناء - وألقت بالعود من يديها وولت هاربة ووجم الحاضرون هنيهة ثم تسللوا مجتمعين ومتفرقين خارج دار الغناء.

وكانت القاهرة كلها محشورة بين بيت سعد زغلول والمقبرة - من دار سعد إلى قبر سعد. آفاق الناس وهم يتسألون: سعد يبرح داره؟! سعد مفارقهم إلى غير لقاء؟! ياللهول القاسم وياللفزع الأكبر وجاءت لهم الحقيقة جائحة فادحة فى صورة ذلك النعش الأخضر ينحدر من بيت الأمة فى تؤدة وسكون نعش سعد وفيه سعد؟!.

وكانت لحظة كاش فيها ودفن فيها حلم الحليم وصير الصبور، وكانت القاهرة - بغير سعد - القاهرة اليتيمة وكانت أشبه بوحشة القبر، وهذا ما سجله «العقاد» فى كتابه «سعد زغلول سيرة وتحية».

مات سعد زغلول فبكته مصر كلها بدماء قلبها، وعصارة فكرها ويعبر أباؤها وشعراؤها عن الحدث الجلل فينشده «شاعر النيل»:

إيه يالليل هل شهدت المصايبا كيف ينصب فى النفوس انصايبا
بلغ المشرقين قبل انبلاج الصبح أن الرئيس قد ولى وغابا

وانع للنيرات سعدا فسمدُ كان أمضى فى الأرض منها شهابا
قل لها غاب كوكب الأرض فى الأرض فغيبي عن السماء احتجابا

وينشد: «أمير الشعراء» الذى كان غائبا عن الوطن - آنذاك - معبرا عن حزنه لموت
سعد وتلقيه نبأ وفاته وهو بعيد عن الوطن:

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها وأنحنى الشرق عليها فبكاها
ليتنى فى الركب لما أفلت يشوع، همت فنارى فثناها

وتديبج يراع العقاد فى ذكرى الأربعين له:

حملوا على المدفع مدفعا الأساطيل اتقته والحصون
فترة التيه تغشت أمة غاب موساها على طور سنين

وتكتب التايمز الإنجليزية عنه مقالا معنونا: مات الأسد المصرى..
فسلام على سعد فى الخالدين.



يوم .. أن تعانق الهلال مع الصليب .. !؟

الأيام كالأنام.. تولد وتحيا وتموت.. شأنها شأن جميع الكائنات الحية يدركها الموت، ويرد عليها البلى والفتنة!

بيد أن ثمة أياما، وكذلك أشخاصا. تولد، لكي تحيا وتظل هكذا حية في ضمير الزمن.. وفي ذاكرة التاريخ.. حتى يرث الله الأرض ومن عليها.
ومن الأيام الخوالد - وما أكثرها في تاريخ مصر! - التي عنفت لها الجباه، وكتبت لها الحياة. ما خطه الدكتور «محمد حسين هيكل» باشا في الجزء الأول من «مذكرات في السياسة المصرية» يقول عنه:

كان ذلك ليلة اليوم الثامن شهر مارس سنة ١٩١٩، وكنت ذلك اليوم مسافرا إلى القاهرة لألقي محاضرات بالجامعة المصرية صبيحة ٩ من مارس، وكان النبا بالقبض على الباشوات الأربعة واعتقالهم، قد سرى في أنحاء العاصمة، وانتقل منها بسرعة البرق إلى أنحاء الأقاليم، وكان الجميع، إنجليزا ومصريون وأجانب، ينتظرون ما عسى أن يكون رد الفعل لهذا القرار الذي اتخذته إنجلترا إزاء من ينادون باستقلال مصر.

فلما أصبحت يوم ٩ مارس ذهب في الساعة التاسعة إلى الجامعة، وكان مقرها يومئذ بميدان الأزهار «الفلكى الآن» فإذا هي خلاء ليس فيها طالب واحد. وصعدت إلى الطابق الأول فألقيت محمد بك وجيه سكرتير الجامعة بغرفته المطلة على الميدان وكانت سراى البستان، حيث يقيم السلطان فؤاد، تجاور الجامعة وتطل عليها نوافذ مكتب وجيه بك، فلما دخلت عليه حيائي وعلى وجهه ابتسامة وقال إن طلبة الجامعة وطلبة جميع المدارس العليا والثانوية مضربون احتجاجا على اعتقال رئيس الوفد وأعضائه.

جلست إليه أحدثت معه، وأشرب القهوة عنده. وإننا نتحدث إذ رأينا من نافذة الغرفة منظرا يأخذ الأبصار فقد امتلأ ميدان الأزهار كله بالتظاهرين من جميع الطبقات طلابا وعمالا وأفندية، وفي أيدي كثيرين منهم فروع أشجار ضخمة اقتلعوها من الشوارع التي مروا بها. وإذا هم يميلون على عربات الترام التي تمر بالميدان يحطمونها ويقلبونها هنالك قلت: لقد أطلق الحيوان الناطق من جميع قيوده، ولم تمض لحظات بعد ذلك حتى

رأينا قوة من الجنود الإنجليزي تحاصر قصر البستان مخافة أن يدخل المتظاهرون بميدان الأزهار - ثم اندفعوا إلى ناحية شارع القصر العيني، ولم تغرب شمس ذلك اليوم حتى جاءت الأنباء أن الاضطراب ساد البلاد المصرية كلها من الإسكندرية إلى أسوان وأن منوره عجباً! انتشرت في كل مكان، وأن خطوط السكك الحديدية أتلفت وكثيراً من خطوط التلغراف قطعت، وأن الانتقال من العاصمة أو إليها أصبح مستحيلاً.

في هذا الوقت العصيب كانت الأنباء ترد فيه بين ساعة وأخرى بوقوع الاشتباك بين الجنود الإنجليزي والمتظاهرين المصريين بالقاهرة اشتباكاً تجسم الأبناء نتائجه من القتلى والجرحى وقد تمردت بعض قرى الجيزة القريبة من القاهرة فعاقبها الجنود الإنجليزي باستباحتها واحراقها وانتشر الخبر بذلك وترتب على انتشاره أن أحاط الأهالي المصريون بجماعة من الجنود البريطانيين وقف بهم القطار بمحطة فقتلوهم وشربوا من دمائهم، وأعلنت بعض الجهات النائية بعض الشئ عن القاهرة استقلالها، واحتل شبان من المحامين دواوين الحكومة، وتولوا بأنفسهم أمور الحكم والمحافظة على الأمن والنظام وأضربنا نحن المحامين في أنحاء القطر جميعاً احتجاجاً على تصرفات السلطة البريطانية، وكنا نذهب كل صباح إلى منزل سعد زغلول باشا حيث يجتمع أعضاء الوفد. نتلقى من هناك أنباء ما حدث بالأمس، وترتب عليه نتائجه في تصرفاتنا.

اندلع لهيب الثورة وامتد في كل مكان ولم يقتصر على المتعلمين ولا على الشباب، بل اهتزت به جميع القلوب وتحرقت استجابة له الجوانح والافئدة، حتى السيدات، اللواتي كن يومئذ محجبات مقصورات في خدورهن، أبى عليهن شعورهن الوطني أن يبقين غير مشتركات في هذه الثورة القومية القوة، فخرجن مؤترزات متظاهرات سيرا على أقدامهن إلى منزل سعد باشا، الذي أصبح حقاً وفي هذا الظرف بيت الأمة، وكذلك تحطمت الفوارق في التفكير والشعور بين الطبقات.. والحرص الخالص على التخلص من حكم الإنجليزي. كذلك أصبحت مصر في اليوم التاسع من مارس عام ١٩١٩ بعد أن ظلت حبيسة الإحتلال الذي ناء عليها بكله، هي في كفاح ومراس حتى جاءت القارعة من شعب برمته كان يتلظى فجاء اعتقال سعد الذي لم يكن عقلاً فحسب ولكنه كان عقلاً وروحاً، وصوتا وجسماً وحركة وسكوناً تسرى في الآلاف بل عشرات الآلاف، كما عبر الدكتور محمد بهي الدين بركات باشا في مقال له عنه، فالتف الشعب حوله وأحاطه إحاطة

السوار بالعصم، فجاء اعتقاله هو وصحبه بمثابة الشرارة التي أوقدت فيه نار الثورة.. هذه الثورة التي أظهرت شعب مصر بمظهر الوحدة السياسية المتكاملة وكان الإخاء بين الهلال والصليب، وكان الاتحاد المطلق في الجهاد والتضحية والفهم بين المسلمين والأقباط كما دون الأستاذ محمد زكى عبد القادر فى كتابه «محنة الدستور» وكان امتزاج السعى بالاستقلال التام أو الموت الزؤام فى سبيله بين عنصرى الأمة دون تفریق أمام إنجلترا التي جابهها سعد بهذا التحدى وهى الدولة الأولى فى العالم المنتصرة فى الحرب التي يركع العالم عند قدميها وهى توزع الأسلاب، وجنودها ليسوا بعيدين، بل هنا فى قلب القاهرة. كما عبر الأستاذ أحمد بهاء الدين فى كتابه القيم «أيام لها تاريخ» ولم تكن الثورة تقتصر على منطقة واحدة ولكن الجامع الأزهر كان المركز الرئيسى لها منه تنطلق القذائف الثورية فى شكل موجات من البشر فقد كان يؤم أفراد الشعب من جميع الطبقات ورجال الدين على اختلاف نحلهم وملهم حتى النساء كن يعقدن فيه المؤتمرات الوطنية ويلقيين فيه الخطب الحماسية وقد اشتهر من خطباء الأزهر فى تلك الأيام العاصفة مصطفى القاياتى والقمص مرقص سرجيوس والقمص بولس غبريال، والطلاب إبراهيم عبد الهادى وشكرى كرشاه وزكى مبارك، وغيرهم من الشباب المثقف وتكونت لجان الثورة لتلعب دورها وتؤدى رسالتها.

روى راغب إسكندر فى ذكرياته عن الثورة فقال: إن لجان الثورة ظلت تعمل بانتظام دون أن يصيبها الكلل أو الملل ودون أن يعرف زميل زميله فى الخلية الأخرى حتى إنى لم أكن أعرف أن أخى نجيب إسكندر كان يعمل فى إحدى الخلايا الأخرى. وكان كلانا لا يعرف أين وكيف يعمل الآخر، وكانت خليتى مؤلفة من أحمد ماهر والنقراشى والشيخ مصطفى القاياتى وأنا، وكان أعضاء هذه الجمعيات يوزعون المنشورات فى المدن والقاهرة وهم متنكرون بعضهم، يرتدى القبعة ليُحسب من الأجانب فلا تتجه إليه الشبهات.. وكان منهم الطالب توفيق صليب.

وكان من أعظم السمات التى اتسعت بها ثورة ١٩١٩ أن الفلاحين اشتركوا فيها، فكانت ثورة عامة تجمع بين الباشوات والموظفين الكبار والصغار والفلاحين وسكان المدن، وكان من أعظم هذه السمات - أيضا - اشتراك الأقباط والمسلمين فيها، واتحادهم جبهة واحدة للمطالبة بالجمهورية. وكان خطباء المسلمين يخطبون فى الكنائس وخطباء الأقباط يخطبون فى المساجد. يدعون إلى ذلك الهدف الأسمى المشترك، كما ذكر الأستاذ سلامة موسى فى كتابه «الثورات».. وما أكثر ما كان الطلاب والعمال المصريون يتساقطون أثناء

مظاهراتهم فى شوارع القاهرة والإسكندرية تحت رصاص الجنود الإنجليز، فلا يثنون عن هدفهم، ولا يرتدون عن غاياتهم والراية المصرية مرفوعة بينهم تنتقل من يد إلى يد، كلما صُرع حاملها سارع رفيقه لرفعها مكانه رمزاً للعزة القومية والكرامة الوطنية والإباء العظيم. ولم يقتصر ضحايا الثورة على ألوف القتلى والجرحى الذين استشهدوا فى ميادين الكفاح، إذ كانت المحاكم البريطانية تدفع بين حين وآخر بعشرات الضحايا إلى ساحات الإعدام، فأعدموا ١٤٦ من أفراد الشعب و زجوا ١٢١٣ مصرى إلى ظلام السجون.

ملح من ملامح ثورة ١٩١٩ التى يواكب ذكرها اليوم التاسع من مارس فى كل عام.. هذه الثورة قوضت أركان إمبراطورية كانت تتسع ولا تتقلص - على نحو ما ذكر (قلعجى) - وكانت جنودهم من شتى الأجناس ومن كل فئات الناس بعتاد الحرب الثقيل يمشون مختالين فخوريين يلتقى الخلق فى ظلهم الكئيب، وقلبهم العليل، الموت والأهوال، لا يعرف أحد من فى أبناء مصر معهم حرية ولا استقلالاً، ليس لهم من شأن سوى سفك الدماء، وقتل الأحرار الأبرياء، يتنمرون لشعب أبى «لا يطيق دفاعاً» وإذا به يخرج من قمقه ماردا عملاقاً يعبى العدو «شجاعة ومصاعاً» ويهد منه معاقلاً وقلعاً يضحى بثورته وعزته للشرق كله حتى إن الزعيم العظيم المهاتما غاندى قد قال:

«لقد تعلمت الكفاح من سعد» ثم يقول: «إننى تتبعت سيرة هذا الرجل القدير منذ ثورة ١٩١٩ وحتى الآن، وإننى أراه قدوة وأعدّه بمثابة أستاذ. وعن سعد أخذت توحيد العنصرين ولكنى لم أنجح كما نجح هو فيه. إن سعدا ليس لكم وحدكم ولكنه لنا أجمعين». هذه هى ثورة ١٩١٩ التى تعانق فيها الهلال مع الصليب، تثبت للعالم كله أن مصر نسيج واحد لا فرق فيها بين مسلم ومسيحى، فالدين لله والوطن للجميع. والله در الشيخ محمد عبد المطلب فيما قال:

بنينا على آداب عيسى وأحمد	منازل عز دونها يقع النسر
فنحن على الإنجيل والذكر أمة	يؤيدها الإنجيل بالحق والذكر
لنا كل ما فى مصر والحق قائم	تؤيده الأيات والحجج الفر
فلن يستطيع الدهر تفريق بيننا	وان جر قوم بالسعاية ما جروا
كلانا على دين به هو مؤمن	ولكن خذلان البلاد هو الكفر
فلا يحسبن الناس أنا تزلزلت	بنا قدم أو مس وحدتنا الضر